الثورة الإعلامية في سياق العولمة

رؤى وتحولات

الدكتور
إبراهيم حسن حسين

العلم والإيمان للنشر والتوزيع



الثورة الإعلامية في سياق العولمة

رؤى وتحولات

الدكتور

إبراهيم حسن حسين

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار الجديد للنشر والتوزيع

341.76

ا . ح

إبراهيم حسن حسين ،

الثورة الإعلامية في سياق العولمة رؤى وتحولات / إبراهيم حسن حسين.- ط1.-

دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

144 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 1- 571 – 308 – 977 – 978

1. الإعلام الدولي

2. العولمة

أ - العنوان .

رقم الإيداع : 11098 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

E- elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

mail:

الناشـــر : دار الجـــديد للنشـــر والتـــوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

الفهرس

الفهرس...د
قائمة المحتويات ....ه
المقدمة:...1
مقدمات وإرهاصات العولمة 3
الإعلام العربي راهنا وآفاق المستقبل...15
ظاهرة العولمـــة 22
الإعلام بين الديموقراطية والعولمة :..44
الفجوة الرقمية والإعلام العربي :..55
الفضاء المعلوماتي 78
المراجع 131

قائمة المحتويات

م	الموضوع
	المقدمة
	مقدمات وإرهاصات العولمة
	معنى العولمة
	الجذور الفكرية للعولمة
	الرهنات السياسية في سياق العولمة
	أهمية السياسة في إطار العولمة
	الإعلام العربي راهنا وأفاق المستقبل
	الإعلام ومواجهة الإرهاب في سياق العولمة
	ظاهرة العولمة
	المصطلح والمفهوم وإدراك الخلفيات
	خلفيات العولمة الفلسفية والفكرية
	بزوغ النظام العالمي الجديد
	المديا الإعلامية تمهد الطريق للعولمة الثقافية

الطرف الآخر للعولمة	
المديا الإعلاميه تسود	
قضايا تحليلية للثورة المعلوماتية	
الإعلام بين الديمقراطية والعولمة	
الفجوة الرقمية والإعلام العربي	
تذايد الفجوة الرقمية وأثرها على الإعلام	
الإعلام في إطار ثقافة عصر المعلومات	
التوقعات المستقبلية لتطور الفكر الإعلامي	
الإعلام ومجال الثقافة	
الإعلام والسياسة والفكر	
الدور العلامي ومحاولة إيجاد لغة إعلامية واحدة	
الفضاء المعلوماتي	
عملية الإتصال بين الفرد والمجتمع	
الإعلام وتباين القيم بين الإيجابية والسلبية	
وسائل الإعلام وتأثيرها	
العالم الرقمي	

الأخلاق ووسائل الإعلام	
العوامل الرئيسية لثورة الإعلام والإتصال	
الصدمة الإعلامية العربية	
التناقض الجوهري فى الإعلام العربي	
كيف يواجه الإعلام العربي عصر العولمة	
المراجع	

المقدمة:

كانت المجتمعات الإنسانية خلال كل مراحل التاريخ تحرص بقدر الإمكان على قيام علاقات قوية مع المجتمعات المجاورة وتوسيع شبكة هذه العلاقات كلما أتيحت الفرصة ، وفي حدود القدرات المادية ووسائل الاتصال المتاحة لها ، وكان من الطبيعي أن يزداد هذا الميل قوة وعمقًـــا عبر الزمن، وأن تتـــشعب شبكة العلاقــــــات الإنسانية بتـــقدم تكنولوجيات الاتصال وتنوع الوسائل ودقة الأجهزة إلى أن بلغـــت هذه التكنولوجيات قمة التعقد والكفاءة في العقود الأخيرة من القرن الماضي فأصبح من الميسور إقامة علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية مع كل أنحاء العالم ، دون أن يكون للبعد المكاني أو الفواصل والحواجز الفيزيقية دور مؤثر في تحديد تلك العلاقات أو وضع قيود على تبادل الأفكار والمعلومات وعقد الصفقات الاقتصادية والدخول في التحالفات السياسية على مستوى كوكب الأرض.

كما ازداد إحساس الفرد بالانتماء إلى منظومة واحدة كبيرة تضم سائر البشر، رغم ما بينهم من فوارق العرق واللون واللغة أصبح يشعر بكيانه كعضو في مجتمع كوكبي واسع وشامل(1) ،

وخلال العقدين الأخيرين بالذات من القرن العشرين تبلور الوعي بعملية العولمة كجزء من الحياة اليومية ، كما يكشف عن ذلك كثير من التصرفات اليومية العادية للإنسان العادي ابتداء من متابعة لأخبار العالم على الشبكات الفضائية العالمية إلى المفاضلة بين الإنتاج المحلي والإنتاج الأجنبـــــي .

والعولمة عملية نشطة تهدف إلى توسيع مصالح الشركات الكبرى متعددة الجنسيات وتكريس العلاقات الاقتصادية التي تتعدى حدود الدولة، وأن لها قدرة فائقة على الزحف والانتشار والنمو والتغير بحسب الأوضاع والظروف ، وأن هذه القدرات تزيد من قوتهاعلى التأثير والسيطرة لدرجة أن بعض المفكرين يعتبرونها شكلا من أشكال الأيديولوجيا(2) .

العالم يواجه مأزقا حقيقيا

مقدمات وإرهاصات العولمة .

1- معنى العولمة وتعريفها :

تبلورت ظـــاهرة تاريخية جديدة فى العالم ، اسمــها " العولمة " عند نهايات القرن العشرين ، ولم يكن الناس قد سمعوا بهذا المصطلح فبدأوا يسألون عن هذه الظاهرة الجديدة منذ العام 1992 ويستفهمون عن معنى " العولمة " وفحواها ، حتى يومنا هذا ، بعد مرور أكثر من عشرين سنة على ولادتها ونشر كتابات لا تعد ولا تحصى عنها ،مع تفسير طبيعة الظاهرة التى ستتبلور أكثر وأكثر من خلال تغيير العالم(3).

ومنذ بداية التسعينيات من القرن العشرين بدأ التشدد على معنى الظاهرة في ثقافتنا المعــاصرة ، وماهية خلفياتها التاريخية .

إن من أوائل العلماء العرب الذين اشتغلوا على مفاهيم العولمة هو المفكر المصري سمير أمين . وبقراءة ورقة السيد ياسين في ندوة العرب والعولمة ببيروت عام 1997م تجده قد أرجع مفهوم العولمة وتاريخها إلى قرون مضت وبالرغم من الاعتراضات التي سجلت على تفسيراته التي استلهمها من آخرين لم يتنازل عن فكرته التي طرحها حول العولمة .

صحيح أن العولمة هي نتاج حركة دمج العالم وانتقاله من ظاهرة كبرى إلى أخرى وأن التحولات التاريخية موجودة باستمرار وعبر كل العصور التاريخية ، بيد أن حراك العولمة أخذ يتسارع إبان عقد التسعينيات من القرن العشرين حتى وصف أحدهم السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين بأن ما حدث فيها أكثر بكثير مما حدث من تطورات على مدى آلاف السنين من حياة الإنسان على الأرض إن التطورات التــي انبثقت في التسعينيات الأخيرة بشكل خاص قد استمدت صورتها من الثورة العلمية ومن التكنولوجيا الراهنة لتشكل حصيلة من التطورات المدهشة في وسائل الإعلام والاتصالات والمعلومات التي تقود اليوم إلى المستقبل المجهول(4) .

إن العالم اليوم يعيش لحظة بدايات ظاهرة العولمة ومازال يتعرف على مقدماتها ، ويؤسس فلسفة بها وللوجود على امتداد القرن الواحد والعشرين ، وهى فلسفة تختلف تماما عن الفلسفات التى عرفها الإنسان منذ آلاف السنين(5) .

ولكن المشكلة أن العالم لايعرف مطلقا أين سيقوده هذا الطريق وإلى أين تتجه العولمة بالعالم ؟ وما هي نهاياتها ؟ وما "الظاهرة" التاريخية الكبرى التى ستليها فى القرن الثاني والعشرين ؟.

2- الجذور الفكرية للعولمة :

ثمة محاولات فكرية عديدة منذ سنوات مضت لإدراك الخلفيات والأسس والمرتكزات وثمة محاولات أخرى لفهم طبيعة التحولات والمتغيرات فى جميع الاتجاهات والمجالات ، وثمة محاولات لاستيعاب هذا العالم الجديد وفهم سماته الأساسية وإدراك مساراته المستقبلية منذ عقدين من السنين ، ولكن إذا كانت هناك مجتمعات علمية فى هذا العالم قد أدركت بعض المفاهيم والأفكار بعد مناقشتها فإن ثقافتنا العربية لم تزل غارقة فى ماضوياتها من دون أن تناقش وتفكك وتنتقد أعمالا مهمة مثل كتاب المؤلف "صمويل هنتنجتون "بعنوان "صدام الحضارات" (6) .

الذى أشار فيه إلى أن البشرية – وهي فى طريقها نحو عالم جديد – مقبلة على حرب دامية بين مناطق الحضارة الكبرى وأن صداماتها تتركب من حداثة العصر وبقايا التاريخ ، وأن المسلمين – وفق رأيه – هم الأكثر خطورة من تلك البقايا فى مواجهة العصر.

وهناك كتاب "فرانسيس فوكوياما" فى كتابه "نهاية التاريخ " الذى شخص فيه المرحلة الراهنة من التاريخ ، كأنها مرحلة انتصار نهائي للنموذج السياسي والفكري الليبرالي الذى يحظى بالقبول الواسع من أكبر قدر من الدول والمجتمعات فى العالم (7) .

وأيضاً كتاب "بول كيندى " "صعود الإمبراطوريات وهبوطها" الذى توقع فيه انهيار الاتحاد السوفييتي ، وتنبأ باحتمال تراجع هيمنة الولايات المتحدةعلى الشأن العالمي فى المستقبل إذا ظل الإنفاق العسكري الأمريكى على مستوياته العالية والتى لاتتناسب مع نصيبها من الإنتاج الإجمالى العالمى (8) .

وأيضاً كتاب " رونالد روبتسون" "العولمة " الذى يؤكد أن العولمة هى أشبه بظاهرة تطور نوعى جديد فى التاريخ الإنساني بعد أن غدا العالم أكثر ترابطاً وأكثر تماسكاً ، وأن الوعي بهذا الارتباط والتماسك هو من أهم سمات هذه اللحظة (9) .

وأيضاً كتاب "ستيفن هاجبليد " الذى جمع فيه دراسات قوية وممتازة حول العولمة والتحولات "وتحدث فيه عن حداثة القوى التكنولوجية وتصاعد التكتلات الاقتصادية الجديدة التى سيكون لها دور مؤثر وكبير في تشكيل مستقبل البشرية خلال القرن الحالى(10) .

إضافة إلى أعمال (ألفين توفللر) "الموجة الثالثة" ،"صدمة المستقبل "و "تحولات القوة " (11) . قام ألفين توفللر بكتابة كتبه وشاركته زوجته فيها ، واشتهر كثيرا بهذه الكتب الثلاثة التالية :

Alvin Toffler, Future Shock, Bantam Books, 1970. -
- Alvin Toffler, The Eco-Spasm Report, Bantam Books, 1975.
- Alvin Toffler, The Third Wave, Bantam Books, 1980.

فضلا عن أعمال "سمير أمين " عن العولمة ورسمه خطوطاً عن توحش الرأسمالية وطغيان القوى الكابيتالية فى العالم كله وتآكل عالم الجنوب من قبل عالم الشمال . (12)

وأيضاً أفكار المهدى المنجرة ، عالم المستقبليات المغربي "عولمـــــة من أجل التنوع الحضارى" (13) .

إذ يحلل حالة الفوضى التى ستخلقها الظاهرة فى العالم وانسحاق بعض الشعوب .

وفي عالمناالعربي نلاحظ تعليلاً وظيفياً باعتباره هو وسيلة للحصول على وظيفة والتعامل مع النظام النيروقراطي فالتعليم بهذا المفهوم ليس تعليما للحياة وبذلك تنعدم فرص المشارك فيه والمساهمة في صنع ما يدور من حولنا في العالم ومن ثم نكون في معزل عن مايتم في العالم من تغييرات علمية وتكنولوجيا وبذلك تحدث تناقضات في الثقافة العربية في تفسير العولمـــة .

3- الثقافة العربية فى مواجهة العولمة :

ضجت الثقافة العربية منذ عام 2000م ، بكتابات لاحصر لها عن "العولمة" بحيث تضمنت كما هائلا من تفسيرات ، وإنشائيات وإسهابات ، وترجمات واستلابات ، وادعاءات كثيرة جدا . إذ وصفت بأنها يونانية ورومانية ومصيرها مصير يوليوس قيصر ، وقيلإن المسلمين كانوا من أوائل العولميين فى التاريخ ، فى مكان آخر نقرأ أن رسول الإسلام هو الذى خلق أول عولمة فى التاريخ ، ويهب أخرون ليقولوا إن الإسلام نفسه عولمي ، كما عرفت أنها نظرية وليست ظاهرة، كأنه لم يشهد منتجاتها فى الوجود المعاصر.... إلخ من التشبيهات والأمثلة التى لا أساس لها من الصحة مطلقا ، من دون أى عناء لمزيد من القراءات والفحوص للعناية ليس بالمصطلحات والتعابير المخطوءة فقط ،بل يمكن القول : "إن فساد التفكير طال أغلب المضامين والمعاني والاقتصار على معرفة ذلك من خلال ما ينشر على صفحات الإنترنت بلا أى قيد أو شرط ، والإنترنت نفسه واحد من منجزات العولمة" والمصيبة الأعظم أن هناك من يسمع أو يقرأ ، لكنه يستكين لأنه لايعرف أو لايدرك أو لا يفقه ، بل يرى أن "الموضوع" مادام جديدا ومستحدثا ،فكل ما يدور حوله هو من قبيل "وجهات النظر" وليس حقائق لا أمور ، وثمة معلومات مؤكدة عنها ، إن المشكلة الحقيقية فى ثقافتنا العربية اليوم تكمن فى ندرة من يرصد وينقد

ويحاور ويناقش فى النظريات والمصطلحات والمعلومات والمفاهيم والأفكار بل ازدادت المسرودات والنقولات ووجهات النظر والخطابات السياسية فى الفضائيات والصحافة اليومية والمجلات الأسبوعية وحتى الحوليات التى تدعى لنفسها الرصانة العلمية على غيرها ، وبات القراء وكل المهتمين فى تيه عجيب غريب من بحر متلاطم بالكتابات الفضفاضة والعقيمة التى تضرهم ولا تنفعهم أبدا ، ولقد تبلور كل ذلك من خلال الخلط المبهم بين المعرفى والأيديولوجى اليوم(14) .

وقد أثر ذلك بطبيعة الحال الفكر السياسي الذي كان لزاماً عليه أن يعيد صياغة أفكاره بما يستوعب المستجدات التي أفرزتها ظاهرة العولمـــــة .

وقد ترافق مع ظهور مصطلح العولمة موجة من النقد والهجاء أفرزت على إثرها تشكيلات اجتماعية جديدة للعمال والمزارعينفي الدول الأكثر غنى أو دول الشمال، يبدو أكثر قرباً من انتمائه إلى طبقة اجتماعية محدودة ومحصورة بإقليمه أو قطره الوطني فنحن إزاء ظاهرة أشبه بالجديدة ذات حوامل إعلامية واقتصادية وسياسية جديدة ومختلفة ، مما يعني ضرورة توليد آليات وأدوات لفهم الظاهرة تكون جديدة أيضاً وإلا حكمنا على الظاهرة من منظورمسبق بمفاهيم قديمة ، أصبحت غير ذي جدوى أوفاعلية في اكتناه هذه الظاهرة .

وهنا يطمئن الفرق بين خطاب يعمل على نقد العولمة ولكن من منطق الفهم أولاً ثم المواكبة ثانياً وبين خطاب يعيد إنتاج مصطلحاته ومفاهيمه ليسقطها على ظاهرة العولمة ، التي هي بحكم تشكلها التاريخي ظاهرة مستحدثة .

إن الاكتفاء بوصف العولمة على أنها نمط استعماري امبريالي قديم ، تحلى بثوب جديد لن يمكننا من فهم بنيتها الداخلية والصيرورة التي تحكم آلية عملها مما يوقعنا دائما في خانة الغائب تاريخيا وغير القادر على الانسجام مع العصر ، بما يتطلبه ذلك من تحديث طرائق ووسائل التعامل مع الظواهر الجديدة .

فالإصرار على التمترس وراء النماذج والقوالب التاريخية يدفع بوضعنا الحالي إلى حالة من الغياب يكرس لعدم القدرة على التحاور بشكل مرن وجيد مع الآخر ، الذي أصبح يملك زمام المبادرة والمبادأة إن هذه الخطاب مازال ينتمي إلى زمن النضال الأيديولوجي ، والكفاح المعرفي ، فهو لايتصدى إلى الثورة التقنية والمعلوماتية والاكتشافات العلمية والجينية بعقل يعمل أولاً على استيعاب ما تم وأنجز ، وإنما استخراج أسلحته القديمة التي أصابها الصدأ ليتعامل مع هذه الحوادث الكونية(15) .

4- الرهانات السياسية في سياق العولمة :

ربما يكون المجال السياسي هو الأكثر حساسية للتغيرات التي فرضتها العولمة على اعتباره الأكثر ارتباطاً بالتحولات الاقتصادية والأكثر تأثراً به لا سيما مع دخول سياسة اقتصادية جديدة ، يمكن اعتبارها بمثابة اللغة التـي سيتم وفقها فرز الأنظمة السياسية القائمة مع الاعتراف بتقادم الفرز الأيديولوجي السابق القائم على منظومة الدول الاشتراكية ومنظومة الدول الرأسمالية ودول تتجاذب بين الطرفين أطلقت على نفسها دول عدم الانحياز ، إذ يبدو هذا التقسيم غير قادر على تفسير التداخلات المعقدة والمتشابكة للعلاقات الدولية والسياسية والاقتصادية القائمة في الوقت الحالي ، ويبدو سؤال مصير الدولة القطرية أومستقبلها يؤرق غالبية النخب السياسية في دول العالم الثالث ، ذلك أنها شعرت أن دولها لم تتحصل على الوقت الكافي بعد لإنشاء دولها وكياناتها القطرية بمعناها القومي والحديث ، أي بناء الدولة بمؤسساتها وأبنيتها الوطنية القادرة على إدغام الخلافات العشائرية والإثنية والقبلية والطائفية التي تعتبر عوامل ما قبل وطنية إذ لاتلبث هذه النزاعات أن تتكاثر وتتزايد وتهدد كيان الدولة الوطنية بأكمله ، مع بزوغ أي حدث سياسي أو هزة دولية ذات انعكاسات عالمية لذلك يبدو سؤال انهيار الدولة الوطنية وزوالها بمثابة المنجل الذي يحصد القمح قبل نضوجه ، ذلك أننا لم نحصل على قمح جديد ولا على تربة مناسبة للزراعة

بعد أن نبت القمح فيها وكل ما حصلنا عليه هو مسوخ شائهة لاتفيد ولا تؤدي الوظيفة المطلوبة منها لذلك ، فانهيار الدولة يبدو بمثابة كارثة لدول العالم الثالث التي ستعود إلى النموذج الصومالي أو الأفغاني ، أي على أشتات تتنازع السيادة دون أن تحصل على شئ منها وما دام منطق الدولة القومية قد فرض نفسه على المجتمعات كافة وإن تبنت طريقاً آخر في التطور السياسي والحضاري ، فإن التنازل عنه في الوقت الحالي يؤدي إلى نتائج كارثية وتبدو مقولة "علينا أن نقف مع الدولة ضد الدولة " تكثيفاً دقيقاً لأزمة الدولة والنظام الحالي في دول العالم الثالث في ظل ظروف التغيرات الدولية والعالمية الجديدة ، وعلى رأسها بزوغ العولمة كظاهرة كونية(16) .

5-أهمية السياسة في إطار العولمة :

فقد كانت السياسة واحدة من القضايا المهمة التي تناولها الفلاسفة اليونان بالنقد والتحليل ، وقد شهدت أثينا أول مظاهر للديمقراطية التي تدعو إليها العولمة اليوم، وطرح الفلاسفة العديد من الأراء السياسية التى اعتبرت البدايات الأولى لصياغة الفكرالسياسى الغربى؛

فهاهو أفلاطون يطرح فى محاورة " الجمهورية " أول نظام سياسى للمدينة الفاضلة، ويليه أرسطو وغيره من الفلاسفة اليونانيينالذين أثروا العالم القديم بأفكارهم الفلسفية

والتى ألقت بظلالها على طابع التفكير الدينى الذى ساد فى العصر الوسيط فى العالمين الإسلامى والمسيحى .

ومثلث الأديان السماوية فكرا دينيا متكاملا تشكل بناء عليه طبيعة المجتمع ونظامه السياسى وقيم أفراده وبشكل عام ثقافته بشتى مظاهرها .

وقد لعبت على وجه الخصوص أفكار الفيلسوفين اليونانيين أفلاطون وأرسطو دوراً بارزاً فى السجالات الفكرية الدينية إذ تم تبنى الكثير من أفكارهما والمناهج الفكرية التى عملت كأدوات للجدل الفكرى الدينى والسياسى والأخلاقى وغيره عند فلاسفة العصر الوسيط المسلمين أو المسيحيين(17) .

فعلى سبيل المثال : سيطرت أفكار أرسطو بشكل كبير على أوربا والتي تبنتها الكنيسة المسيحية ، وفي العالم الإسلامي قام الفارابي بمحاكاة مدينة أفلاطون الفاضلة واعتبر ابن رشد واحداً من أبرز شراح أرسطو في العصر الوسيط ولمدة ألفي عام تقريباً أي منذ ظهور التفكير الفلسفي تشكل العلم القديم بناء على الفلسفة والفكر الديني أي أن الفكر كان له اليد العليا وكان ذلك على حساب العديد من المظاهر السياسية والاقتصادية وغيرهـــا .

واليوم تلعب وسائل الإعلام الدور الفاعل لليد العليا في صناعة السياسة رغم أننا قد عجزنا حتى الآن عن تحقيق تكتل ثقافي أو سياسي من أي نوع والأمر بلا شك أكثر صعوبة بالنسبة للتكتل الإعلامي وما يقف في طريقه من اعتبارات سياسية واقتصادية من جانب آخر فإن الاندماج والتوسع في مهام الإعلام يتطلبان التنسيق بين التربية والإعلام وأجهزة الثقافة الأخرى (18) .

الإعلام العربي راهنا وآفاق المستقبل

لايمكن أن يختلف واقع إعلامنا عن حقائق واقعنا ،ويعكس المشهد العربي الراهن صورة قاتمة لإعلام يسوده طابع التعتيم ، ومن ملامح هذا المشهد :

1- سياسات إعلامية تشكو من انفصام حاد بين الغايات والإمكانات وبين الشعارات والممارسات ، وعجز عن تحقيق أي نوع من التكتل الإعلامي، حيت ارتبط ذلك ارتباطا عضويا بالفشلفى إحداث نوع من التكتل على الصعيد السياسي ،وذلك نتيجة منطقية لتبعية الإعلام للسياسة .

2- قصور شديد في البحوث النظرية في مجال الإعلام ، فضلا عما تدين به أكاديميات الإعلام العربية من تبعية أكاديمية للمدارس الغربية ، وغياب البحوث الإعلامية ذات الطابع الجماعي (19) .

3- نصوص دستورية تؤكد علي مبدأ حرية التعبير وحرية النشر تفرغ من مضمونها بعبارات ناسفة تذييلها ، من قبيل : "بما لا يتعارض مع المصلحة العامة" ،"وبمقتضى القانون " (20) وكأن القانون قد أصبح فى بعض ديارنا فوق الدستور .

4- تسرب مشاهدينا إلى منافذ الإعلام الأجنبية لفقدان الثقة فى الإعلام المحلى، ويكفى مثالاً هنا مشاهد البث الإذاعى العربي الهائلة التى تسيطر عليها هيئة الإذاعة البريطانية .

5- صــحافة رسمية يعتبرها البعض مثالاً نموذجيا لصحافة الولاء(21) .

6- إذاعات موجهة تذيع ولا تسمع ووكالات أنباء ترسل ولا يستقبلها إلا أقل القليل ، وعلى الرغم من وجود أكثر من 22 وكالة أنباء عربية لاتزال وكالات الأنباء الغربية تستأثر بالساحة العربية (22) .

7- تدفق إعلامي غائب أوشبه غائب مابين الدول العربية (23)

8- ومشاريع الإنتاج المشترك نادرة ،وقد فشلنا حتي الآن في إصدار ميثاق موحد للإعلام العربي (24) .

لقد ظل الإعلام العربي المشترك - كما تقول : عواطف عبد الرحمن - منذ أنشئت جامعة الدول العربية ، أضعف الآليات التى يسعى بها العرب لبلوغ أهدافهم القومية إذ تولت المصالح القطرية تحديد مجال حركة الإعلام العربي المشترك (25) . إهتمام ضئيل بشؤون الإعلام من قبل القائمين بالتنمية حيث غاب عن معظمهم ما للإعلام من دور حاسم في عملية التنمية (26)

6- الأعلام و مواجهة الارهاب في سياق العولمة :

غدت ظاهرة الارهاب خلال العقدين الأخرين ظاهرة عالمية اجتاحت معظم مناطق العالم بدرجات متفاوتة ، واختلف وقع حجمها وصداها وآثارها في المجتمعات المختلفة ، حسب الأسباب المؤدية لها من جهة أساليب التعامل معها من جهة ثانية. ولم يسلم العالم العربي من ظاهرة العنف والإرهاب التى أدت بحكم تزايدها وتناميها إلى سقوط أعداد كبيرة من الضحايا وإلى زعزعة الأمن والاستقرار وانتشار الرعب والخوف فى نفوس الأفراد.

وبالعودة قليلاً للوراء نجد أنه حدث تغييراً كبيراً في رؤية العالم لدى المثقفين والمفكرين العرب ألقى بظلاله على العقلية العربية ولذلك اختلفت مصادرهم المرجعية أو المعرفية والأيديولوجية فما اختفى العلميون العلمانيون والأيديولوجيون(التنويريون) لكن غلب على البيئات الثقافية العربية العقلانيون التقدميون والماركسيون ومصادرهم المعرفية مختلفة كما أن مرجعيتهم ليست عصر الأنوار ، بل الماركسية اللينينية وعقلانيتها المادية الجدلية ،ولدى الآخرين العقلانية التاريخانية والإبستمولوجية . أما لدى الإسلاميين فقد اختفى تقربيا الإصلاحيون ذوو النزوع العقلاني بالمعنى الثالث لصالح الإحيائيين والأصوليين الذين يكتفون بالحملة على العقلانيين بكل المعاني . و نشهد في العقدين الأخيرين عودة من جانب العقلانين الجدد إلى عصر الأنوار في حين يرجع بعض الإصلاحيين الجدد إلى عقلانية الإصلاحيين الأوائل وإن اختلفت طرائق العودة وسياقتها لدى هذه الأطراف الجديدة (27) وقد انعكس ذلك على الفكر حيث جنح بعض المفكرين إلى التطرف في الفكر الأمر الذي أدى إلى الصاق الفكر الديني الإسلامي بالتطرف والإرهاب .

واكتسبت ظاهرة الإرهاب بعدا دوليا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001م ، وأصبح الحديث منذ ذلك الحين على إستراتيجيات وخطط عالمية لمواجهة الإرهاب تسهم فيها كل مجالات العمل العام في مختلف أقطار العالم .

ومن منطلق الدور الكبير الذي تؤديه وسائل الإعلام فى التأثير على اتجاهات وميول الجمهور واكتسابه للمعارف والمعلومات ولاسيما وقت الأزمات ووقوع الأحداث الإرهابية، تعددت المبادرات الهادفة إلى التصدي لهذه الظاهرة إعلاميا وفي مقدمتها "الإستراتيجية الإعلامية العربية فى مجال مكافحة الإرهاب" والقرارات الصادرة عن الاجتماع المشترك لمجلس وزراء الإعلام ومجلس وزراء الداخلية العرب المنعقد فى تونس منذ حوالى أكثر من عقد من الزمان.

وجرى نقاش حول مقاربة وسائل الإعلام لظاهرة الإرهاب بين عديد من الخبراء والإعلامين العرب، أفرز أسساً وضوابط تسهم بدرجة واضحة فى توصيف الإرهاب بكل أنواعه وتحديد ملامح معالجته السليمة.

أول هذه الأسـس : اعتبار الإرهاب غير مرتبط بعقيدة أو جنسية أو وطن والسعي إلى تعزيز ثقة الجمهور العربي. ولا سيما الناشئة بتراثه وحضارته وإبراز الطابع العالمـي لهذه ا لظاهرة من خلال تسليط الضوء على أحداث إرهابية حدثت في بيئات مختلفة . كما يتعين تحليل ظاهرة الإرهاب وأسبابها وكشف أبعادها وأخطارها ، وذلك من خلال الاستعانة بالخبراء على مختلف أوجه النشاط المتعلقة بمكافحة الإرهاب التي تقوم بها هيئات المجتمع المدني.

وعدم إتاحة الفرصة للإرهابين لبث دعواهم وإرهابهم وأفكارهم الهدامة أو لتبرير أعمالهم الإجرامية عبر القنوات الفضائية العربية وعدم تصوير الإرهابين كأبطال أو ضحايا، مع اجتناب التعتيم عند وقوع أي عمل إرهابي احتراما لحق المواطن في الإعلام .

ومن أسس المعالجة أيضا ضرورة التصدي للإرهاب على جبهتين :

أ – الجبهة الداخلية : من خلال إشاعة ثقافة الحوار ، ونبذ احتكار الحقيقة وتوسيع دائرة الاجتهاد الإنساني ونشر مناهج الفكر التحليلي العقلاني التنويري وثقافة السلام ومفهوم الوسطية في الإسلام .

ب - الجبهة الخارجية : من خلال تصحيح صورة العرب والمسلمينفي وسائل الإعلام الأجنبية.

لابد من تكريس منظومة قيمية من خلال القنوات الفضائية العربية تقوم على نشر روح التسامح والاعتدال باعتبار أن التماس الحقيقة هو غاية الاجتهاد البشري ، وتوسيع إطار التفاعل ليشمل كل فئات المجتمع أولا

ومن ثم يمتد نطاقه إلى التعامل مع أطراف العالم الخارجي من منطلق الشعور بالتكافؤ الحضاري والندية الثقافية وإعلاء قيمة العقل من أجل استبعاد الفكر الخرافي نهجا في مقاربة الظواهر وفي معالجة القضايا والمشكلات .

ومن المفيد الإشارة إلى تولي اتحاد إذاعات الدول العربية إعداد دراسة تتناول تأثيرالقنوات التلفزيونية الفضائية في التصدي للجريمة والإرهاب (28).

ظاهرة العولمـــة

1- المصطلح والمفهوم وإدراك الخلفيـات:

العولمة ليست مصطلحا قديما أو مألوفا ، لكن جرى ترديده في تسعينيات القرن العشرين ، عندما شاع استعماله ببدء تبلور ظاهرته التاريخية ، وبدء العمل بما هو أكبر من العالم والعالمية وحتى يومنا هذا يعيد ويكرر بعض الكتاب السطحيين والساذجين أن المصطلح يعني "العالمية" من دون أن يفكروا قليلا ، لماذا إذن استنبط مصطلح "العولمة" بالاشتقاق من لفظ "عولم" الذي يعنى أكبر بكثير من العالمية ، ومادام المصطلح ترجمة للمصطلح الإنجليزى(GIObOIOgy) فهو يعني إذن كونية الأشياء ، وأن العالمية جزء لا يتجزأ من تلك الكونية (GIbaIiZaTiON)التى استطاع الإنسان أن يسخرها من أجل مصالحه.

2- خلفيات العولمة الفلسفية والفكرية :

ليس معرفياً فقط ، بل خدمياً ووظائفياً واقتصادياً وفى كل جزئيات الحياة عبر الاتصالات بمختلف مدياته ، سواء بشيوع استعمال الأقمارالصناعية ، والانفجار المعرفي ، وثورة المعلومات ، بدءا بتقليص المسافات بين مناطق العالم ، وانتهاء باستخدام تقنية الإنترنت و"الآي باد"، وشيوع القنوات والمحطات التلفزيونية الفضائية والفيس بوك ، وصولاً إلى أجهزة الاتصالات والموبايلات . هذا العصر الجديد يطرح العولمة بمناخ جديد ، وبشكل قوى وسريع ، إلى الدرجة التى لايتمكن العلماء والفلاسفة وأغلب الباحثين من الإحاطة بهاأو إيجاد جذور وأسس لها فى الماضي القريب ، بل لاتتمكن الدول والأمم من تجاهلها ، أو التخلف عنها . ومن ثم ، فإن مصطلح العولمة يعبرعن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع وأرحب تشمل العالم بأسره (29) .

3 - بزوغ النظام العالمى الجديد :

لقد انهار الاتحاد السوفييتي فى عام 1992 وبدأت فكرة الاستقطاب العالمي ، أى انفراد قوة كبرى وحيدة فى العالم تستحوذ عليها الولايات المتحدة الأمريكية التى بشرت بنظام عالمي جديد. وهذا "النظام" لا كما يربطه البعض من كتابنا وسياسيينا العرب ب"النظام الدولى"! بل هو يتجاوزه ويختلف عنه فهو سعي أمريكيمن نوع لا سابق له لإحداث البديل وإقراره على العالم ، ليقبل به صاغرا أو مستسلماً أو معجباً فى القرن الجديد ! ولكن متى سيولد هذا النظام؟ ومتى ستحدد له علاقاته الجديدة ؟ إذ أن هناك من يقول إن العالم سيغدو متجانسا ، وسيختفى التمايز الجغرافي ، وإن المسافات ستختفي وستضع الجغرافيا نهاياتها .

هناك تكهنات وتنبؤات جديدة وعديدة ، فالمرحلة حتى نهاية العقد الأول من القرن الجديد ، سيمر العالم كله بمخاض صعب جدا يتخلى فيه عن نظام القرن العشرين ، ويدخل نظاما عالميا جديدا له سماته وخصائصه وتكويناته الجديدة وعليه ، فإن عدة دول ستتلاشي وستنهار عدة نظم أخرى ! وثمة خرائط سترسم بالقوة أوبالسلم على الأرض وسوف تزداد قبضة القوى الكبرى على المصالح الحيويةفى العالم بانتظار توازن جديد ومرعب للقوة الدولية والإقليمية وحتى المحلية وستكتفى أكثر من قوة فى العالم بما سيصيبها

وستلعب كتلة الاتحاد الأوروبي ضمن سياقات تحالفية جديدة ، مع دخول روسيا الاتحادية عضوا فى حلف الأطلسي ، وسيتبلور دور الصين التي يبدو أن مصالحها الاقتصادية ستفرض عليها قبول النظام العالمى الجديد ضمن حسابات لاعهد للعالم بها من قبل (31) .

ويعتمد النظام العالمي الجديد " كابيتالية " (رأسمالية) انقسام العالم ، وليس كي يسود هذا النظام نستنتج من خلال ذلك أن ميزان علاقات العالم فى القرن التاسع عشر كان أوربياً ، وقد اخترق العالم كله عسكرياً كولينيالياً ، ووصل إلى ذروته في العهد الفيكتوري إبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وانتهى فى الحرب العالمية الأولى. أما علاقات التوازن فى القرن العشرين فقد كان الصراع فيها سياسيا أيديولوجيا بين كتلتين :شرق وغرب ، ضمن ما سمي بالإمبريالية إزاء الشيوعية العالمية ، وقد بلغ ذروته على الزمن الأمريكي الذى اندحرت فيه المنظومة الاشتراكية . أما فى القرن الواحد والعشرين فإن التوازن والصراع اقتصادياً وعولمياً وإعلامياً بين الشمال والجنوب ، أى أن انقسام العالم سيكون كابيتالياً من الناحية الكونية أي بمعنى أن التكتل العالمى للأقوى ، وسيكون فى الشمال والتفكك فى العالم هو في الأدنى ، وعالم الجنوب يشمل العالم الإسلامي وأفريقيا وأمريكا الجنوبية (32) .

وإذا كانت كل قارة من القارتين الأخيرتين تحاول أن تجد لها في هذا العالم المتوحش موطئ قدم لها ضمن سياقات جديدة ، ترتهنها الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ، فإن العالم الإسلامي له تعقيداته ومشكلاته وأزماته الصعبة، وهو يقف اليوم من دون أى غطاء حقيقي يحميه من أتون الصراع الذي أسموه بـ "صراع الحضارات" ، كما ورد فى مؤلف صمويل هنتنجتون ، ونخشى أن يدفع عالمنا الإسلامي كله والعرب فى مقدمته ، ثمنا باهظا وحده في رسم أبعاد المستقبل خصوصا أنه يمتلك مجالات حيوية جدا وثروات هائلة جدا، ومناطق استرتيجية فى قلب العالم (33) .

وعلينا أن نفهم أن نظاماً عالمياً جديداً يصاغ اليوم على أسس تاريخية جديدة سيحل محل ما تعارف عليه العالم كله من النظام الدولي . وعلينا أن ننتبه ، ليس إلى استخدام المصطلحات والمفاهيم والتعابير استخداما صحيحا فقط ، بل لابد أن ندرك ما تحتويه من المضامين الخطيرة ، ونفهم ما يحصل من متغيرات صعبة وتحولات مؤثرة فهى ليست كما يصفها البعض من كتابنا ومفكرينا العرب بـ "اللعنة " ، كما ورثوا ذلك من أدبيات القرن العشرين ، إنها ليست "لعنة الأمم" السياسية ،

بل تأسيس نظام تاريخى عولمى جديد له آلياته وعناصره التى ستكون نتائجه مخيفة ومرعبة ،من خلال تطبيقات القوى الجديدة فى عالم اليوم ، ودورها فى تغيير خريطة العالم الجغرافية ، خصوصا فى عوالمنا الآسيوية والأفريقية من عالم الجنوب ، أى بمعني العالم الإسلامي ضمن خلخلة المناطق والمجالات الحيوية ..... وما سيتبع من تأثير ذلك كله فى عالمينا العربى والإسلامي. وهل ندرك ما ستقود إليه جملة تلك التغيرات على مصيرنا ومستقبلنا فى هذا الوجود؟ وما هي المشكلة الشرقية التاريخية التى تنتظرنا فى هذا القرن؟ إنها ستنبثق حتما من ثنايا الصراع الذى يشيعونه منذ قرابة عشر سنوات باسم "صراع الحضارات "، بين الشمال والجنوب ! إذا كانت المسألة الشرقية فى شرق أوروبا قد شغلت العالم في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وإذا كان المحور قد شغل العالمفى النصف الأول من القرن العشرين ، وإذا كانت قضيةالشرق الأوسط قد شغلت العالم فى النصف الثانى منه ، فإن مسائل عودة الصراع ستشغل العالم فى النصف الأول من القرن الواحد والعشرين.

ومن ناحية أخرى يمكن أن ينهار مشروع العولمة بفعل تطلعات الولايات المتحدة الأمريكية لإملاء شروطها على جميع شعوب العالم مستخدمة قوتها السياسية والاقتصادية والعسكريةالتي لاتضاهيها قوى أخرى في العالم أجمع فتوجه من هذا القبيل يرسخ لدى حكومات ومواطني دول الجنوب والشمال معا لعولمة ليست مشروعا يخدم مصالح كل الشعوب ، بل هي مشروع موجه لهيمنة القطب الأوحد على مقدرات الشعوب الأخرى ، فالأمر الذي لايختلف عليه اثنان هو أن الولايات المتحدة الأمريكية أمست تستهزئ بالقوى الأخرى صاحبة النفوذ السياسي والاقتصادي في الأسرة الدولية ، فلم تعد تأبهه باتفاقيات تحرير التجارة ولا بأحكام القانون الدولي ولا بأصول الشرعية الدولية ، وإذا كانت هناك مجموعة من مخططي السياسية الخارجية في واشنطن تقدم الدراسات لأن يكون القرن الواحد والعشرون قرن الهيمنة أو الإمبراطورية الأمريكية أو الاستراتيجيات لإحياء عصر الاستعمار مطبقة على العلاقات الدولية .

آراء "توماس هوبس " الزاعمة بإن الإنسان ذئب للإنسان ، وأن الكل في حالة حرب ضد الكل ، ومن ثم فإن لاشئ يحتم على الدول الاجتماع والتعاون وبالتالي فإن على دول العالم الخضوع صراحة أو ضمناً لإرادة سلطة مركزية ، أي لإرادة الولايات المتحدة الأمريكية وهذه التطلعات تفرغ مشروع العولمة من كل محتوياته الإيجابية فالعولمة العادلة ذات المضامين العادلة الإنسانية ، لاتنسجم أبدا مع الهيمنة والاستعمار الذي لم تتخلص بلدان الجنوب من قبضته ، إلا بعد كفاح مرير كلفها سيلاً من دماء أبنائها ولا مع الاسترتيجيات الرافضة لإمكان التعايش السلمي بين الحضارات ، بدعوى أن الحضارات في حالة صراع دائم وأنه لابد من هيمنة حضارة واحدة هي الحضارة الأمريكبة على العالم أجمع ، بدعوى أن تبلور هذه الحضارة قد يعلن نهاية التاريخ وتوقفه عن التطور نحو حضارة أرقى وبزعم أن لابديل في العالم أجمع عن الحضارة الأمريكية ونظامها الرأسمالي ، ومن ثم وبفعل هذه التوجهات والاسترتيجيات فإن كل عنف وتطرف نراهما أو سنراهما في مقبل السنين أمرا زرعت بذرته الإدارة الأمريكية على وجه الخصوص (34) .

التفوق المعرفي يشكل القوة في المشهد العولمي :

لقــد سجلت نهايات القرن العشرين حصيلة رائعة من الإنجازات التى كان سببها تفاقم العمل والتفكير فى الفسلفة الوضعية الحديثة التى لا يمكن أبدا أن تحاكي الفلسفات القديمة سواء اللاهوتية أو الميتافيزيقية ،والتى انتهى فعلها مع تضاعيف القرن التاسع عشر بولادة الفسفة المثالية لهيجل ، وانبثاق الفلسفة الوضعية لـ أوجست كونت بولادة فلسفة التشكل الطبيعى لـ" تشارلز دارون" أوالفلسفة المادية لـ "كارل ماركس" ، وصولاً إلى الفلسفة الوجودية لـ "جان بول سارتر" ، وعالمية فلسفة التاريخ الحضارية لدى "أرنولد توينبى" ، وتطور المعرفة الأنثربولوجية لـ "ليفى شتراوس" والتعمق فى البنيويات عند "ميشال فوكو ، ومنهجية التفكيك عند دريدا . وانتهاء بصدام الحضارات لـ هنتنجتون ، ونهاية التاريخ عند فوكاياما ، لقد نضج العالم كله .ليس من خلال الفلسفة فقط ، بل من خلال المعرفة التى طورها الكمبيوتر عند نهايات القرن العشرين، لقد كانت الفلسفة تسابق كل العلوم حتى نهايات القرن العشرين ، بدأ الصراع بين الأيديولوجيا والمعرفة ، واستمر طوال القرن العشرين حتى انتصرت المعرفة عند الإنسان ،

من خلال إثبات نظرياته العلمية وصحتها كالنظرية النسبية مثلا ، واستكشافاته الجغرافية لكل العالم وتطور معرفته لدواخل الإنسان وأجهزته من خلال تخصصات دقيقة واكتشافاته الفضائية الحقيقية ، بعد أن كان يفسر الأشياء فلكيا وتطورت العلوم السوسيولوجية لمعرفة المجتمعات ، والعلوم السيكولوجية لمعرفة تصرفات الانسان ...إلخ ، فكان أن وجد فى تحولاته من المثاليات والأيديولوجيات إلى العقلانية ميدانا تعزز فيه التفكير والمنهج والنظرية والرؤية معا ، وبواسطة المعرفة ، فانطلقت ظاهرة من جراء تفاقم هذا الخلفيات فى القرن العشرين .

لم يكن الإنسان قبل القرن العشرين قادرا على حل الألغاز التى فكر فيها منذ آلاف السنين. حتى وجد ضالته عنها فى القرن العشرين بل بدأ يستهزئ بالطوباويات والأخيلة والأوهام التى تعلق بها قرونا طويلة ،بعد أن كشفتها علوم الطبيعة ، بل أدرك أن العالم لاينحصر فى الأرض التى سماها "المعمورة " بل تأكد لديه أن عوالم أخرى موجودة فى هذا الكون فلم يعد يفكر فى استغلال الأرض استغلالاً بشعاً ، بل بدأ التفكير فى استغلال كواكب أخرى . وحتى الأرض بدت القوة قد فرضت نفسها ليس بالسلاح وحده ، بل غدت المعرفة فى رعاية القوة العالمية لتوظفها كيفما تشاء .

4- الميديا الإعلامية تمهد الطريق للعولمة الثقافية:

ويأتى دور العولمة الثقافية والميديا الإعلامية، التى تعتبر بالنسبة إلى المجتمعات العربية من أخطر العوامل التى عالجها العديدمن الكتاب العرب فى كتبهم ومقالاتهم . وقدموا مقترحات عملية بصدد تأثير مخاطر الثقافة الكونية والانفتاح غير المبرمج بين أجزاء واسعة من العلم، وكثيرا ما شاعت مقالات عنيفة فى الصحافة العربية ضد العولمة والعولمة الثقافية بالذات ، كتبها كتاب عرب إسلاميون وقوميون يؤمنون بخصوصياتهم ، من دون تقديم أى بدائل حقيقية لما يمكن فعله وعمله فى هذا المجال ، علما بأن العرب – دولاً ومجتمعات – لم يعد باستطاعتهم إيقاف عجلة العولميات الميدية ودور الكمبيوتر وثورة الاتصالات والفضائيات والإعلاميات المباشرة وشبكات الإنترنت وانتقال الأقراص المكتنزة وسرعة المعلومات وحجم المواصلات والنقل والترانزيت وأنسجة الديجيتالات وميديا الإعلام المرئى عبر الستالايت..إلخ .

5- الطرف الآخر للعولمة :

على الرغم من سوء سمعة الرأسمالية ، سواء لدى اليمينيين من المتدينين والدينيين أو اليساريين الاشتراكيين الماركسيين ، فإن تفسير انتصارها كابيتالياً فى نهاية المطاف باعتبارها النظام الاقتصادى الوحيد الصالح للبقاء فى ضوء المذهب الآلي أيسر من تفسير انتصار الديموقراطية الليبرالية فى المجال السياسي ، ذلك أن الرأسمالية قد ثبت أنها أكثر فعالية من النظام الاقتصادى ذى الخطوط المركزية سواء فى مجال تطوير التكنولوجيا واستخدامها أو فى مسايرة الظروف سريعة التغير الخاصة بالتقسيم الدولي للعمل فى ظل أحوال الاقتصاد التصاعدي الناضج .

إن الدعوات سارية اليوم بشدة بأن تتمتع المجتمعات العالمية قاطبة بدرجة من الحرية فى تنظيم الاقتصاديات الرأسمالية والتخطيط لها . ولا يفرض منطق الآلية التى نؤمن بها هذه الدرجة بصورة جامدة . وهكذا نجد أن نخبا وجماعات تعمل بحرص على إحداث توازن بين عالمي الشمال والجنوب فيها ويمكن أن يطلق عليها "العولمة المضادة" .

وهنا يمكن تحديد صورة مرسومة واضحة وخطوطاً عريضة محددة كما يريد البعض من علماء ومفكرى عالم الجنوب أن يرسلوا رسالة مهمة إلى أبناء الشمال مفادها أن يصار إلى أى نوع من الشراكة فى المنافع والمصالح ، وأن يوضح الشمال لنا أن ازدهار التحديث الاقتصادى القائم على أساس من التكنولوجيا سيخلق حوافز قوية لدى مختلف الدول والمجتمعات المتقدمة ، وأن الدول والمجتمعات المتخلفة تطمح إلى أن تكون لها شراكتها الحقيقية ، لا أن تبقى عاجزة فى الظل يستفاد منها ولا تستفيد ، علما بأن هناك حاجة ماسة إلى خلق الاستعدادات من قبل عالم الجنوب على قبول الشروط الأساسية للحضارة الاقتصادية الرأسمالية العريضة ، إذ يسمح بدرجة كبيرة من التنافس الاقتصادي ، ويسمح كذلك بإطلاق كل الحركة لآليات السوق لكي تنهض بمهمة تحديد الأسعار . لقد ثبت حتى الآن أن قدرة أي وسيلة أخرى لتحقيق الحداثة الاقتصادية الكاملة من خلال خلق البنى الفوقية فى المجتمع قبل أن تنفق الدولة المليارات على البنى التحتية التى لا يمكنها أن تسود وتتطور إلا بواسطة خلق قوى الإنتاج وتوظيف كل الموارد فى خلق البنى الفوقية الإنتاجية فى كل القطاعات الاقتصادية والتنموية .

5- الميديا الإعلامية تسود :

فى العقد الأخير من القرن العشرين بدا للناس أمراً طبيعياً أن تكون الرأسمالية الكابيتالية المنتشرة حتمية فى البلاد المتقدمة . وأن تكون الاشتراكية الماركسية اللينينية المنعزلة عقبة كأداء فى سبيل خلق الثورة والحضارة التكنولوجية الحديثة . أما ما كان أقل وضوحا للناس فهو المزايا النسبية للظاهرة الاشتراكية ، مقارنة بالبشاعات المؤلمة التى اقترفتها الرأسمالية فيها يتصل بكل مجتمعات العالم ، خصوصا فى الدول المختلفة أو الدول الأقل تقدما التى لم تصل بعد إلى مستوى التصنيع فى أوروبا كالذى وصلت إليه فى عقد الخمسينيات من القرن العشرين .ويعلل ذلك بأن الدول الفقيرة التى لم يكن عصر الفحم والصلب عندها غير حلم من الأحلام . لم تكن لتأبه بحقيقة أن الاتحاد السوفييتى لم يكن سابقا فى مضمار تكنولوجيا عصر المعلومات ، بقدر ما كان يهمها أن الاتحاد السوفييتى خلق مجتمعا حضريا صناعيا فى ظرف جيل واحد. إنه الوهم الذى انتشر إعلاميا فى كل العالم . إن جيلا واحد لايمكنه أن يخلق مجتمعا حضريا صناعيا ، إذ إننا نعرف من تاريخ روسيا الحديث أن الانطلاقة الأولى قد بدأت على عهد بطرس الأكبر منذ القرن التاسع عشر

وقد عرفت روسيا ثورة سكك الحديد منذ عشرات السنين إن ثورة أكتوبر الاشتراكية عام 1917م تأت لتخلص الفلاحين فقط من مشكلاتهم ،بل جاءت من أجل العمال والبروليتاريا الضخمة التى وصلت أوضاعها إلى درجة من السوء أيام الحرب العالمية الأولى .

وبدأت ثورة أكتوبر الاشتراكية تعمل ضمن المنهج الأيديولوجي الذى رسمته لنفسها إعلامياً ، وانتشر منذ تلك اللحظة التاريخية الإعلام المضاد للرأسمالية من قبل موسكو والعالم الاشتراكي الذى ستخلقه فيمشي فى ركابها ردحاً طويلاً من السنين .

وظل للتخطيط المركزي الاشتراكي جاذبيته الخاصة حيث إنه يشير إلى ريع سريع لتراكم رأس المال ، وإعادة توجيه "الرشيد" للمواد القومية فى التنمية الصناعية المتوازنة ، وقد تمكن الاتحاد السوفييتي من تحقيق ذلك باستخدامه الإرهاب الصريح فى عقدى العشرينيات والثلاثينيات فى القرن العشرين ، من أجل تقليص القطاع الزراعي وهي عملية استغرقت من رواد الصناعة فى الولايات المتحدة وبريطانيا عقدين من الزمان دون اللجوء إلى وسائل قمع .

إن منطق العلوم الطبيعية الحديثة التقدمية يميل بالمجتمعات البشرية صوب الرأسمالية ،وهذا ما ظهر فى المجتمعات التى تحررت من القبضة الاشتراكية كالصين ورومانيا ويوغوسلافيا وألمانيا الشرقية وغيرها .

إن الإعلام يبقى يخادع سنوات طوالاً حتى تنكشف من ورائه مزيد من الألاعيب وأنتج المفبركات كي يتغير الناس بغير الناس ! وبقدر ما يتسنى للبشر رؤية مصالحهم الاقتصادية الذاتية بوضوح فإن مذهب التجاريين ونظرية التبعية وغيرها من المذاهب الفكرية التى شبهت بالسلب حالت بين الناس وبين هذا الرؤية الواضحة . إن تجارب آسيا وأوروبا الشرقية الآن بمنزلة حقول اختبار تجريبية مهمة ينبغي الحكم فى ضوئها على كل مزاعم النظرة الاقتصادية المنافسة للرأسمالية . كأننا هنا نتحدى أن يصعد أى نظام على ضوء الاقتصاد إلا إذا كان رأسمالياً ، كأنه يرفع بيديه سلاحين الأول سلاح الرأسمالية والثانى سلاح الدعوة إليها.

تميز النصف الثانى من القرن العشرين بالتأسيس التقني والتبشير الأيديولوجى بثورة الإعلام والاتصال ، التى أصبحت تنعت اليوم بالقنبلة المعلوماتية ، فمنذ عقد الأربعينيات حيث نظر " نوربير فيينر " إلى تقنية الاتصال انتقالا إلى عقد الستينيات حيث تنامت الدعوى المؤكدة على ولوج عصر نهاية الأيديولوجيا مع " لبست " و"بيل" كما صاغ "ماكلوهان" مشروع القرية الكونية ، وصولاً إلى موجة الإنترنت فى عقد التسعينيات ، انتعشت الأطروحات كما تناسلت الخطابات المبينة لمزايا ثورة الاتصال والإعلام .

لقد تحول إنسان السنوات الأخيرة من القرن العشرين إلى كائن اتصالى من دون أن يكون بالضرورة كائنا تواصلياً ، فإذا كانت الجريدة كمنتج إعلامي ليست ملكاً مشاعاً بحكم استمرار الأمية حتى الآن . وخاصة فى جنوب الكرة الأرضية ، واذا كانت شبكة الإنترنت مخترعا غير معمم ولا ينعم بخيراته الإ جزء من سكان العالم أغلبهم فى البدان الصناعية المتقدمة ، فإن الراديو قد أمسى ملكا مشاعا إلى كل بيت بالمدينة كما بالقرية ، كما أمسى التلفزيون ضيفا تحول إلى المقيم الدائم حتى فى مناطق بعيدة ، وتجمعات قبلية منغلقة ،لايكمن أيضا إغفال دور الهاتف فى تسهيل عملية نقل الأخبار والاتصال الاجتماعى كما لا يمكن إغفال ما حققته السينما من وظائف ثقافية ، جمالية وترفيهية متنوعة . غير أن هذا النمو الكاسح لوسائل الإعلام وخاصة التلفزيون ولوسائل الاتصال وخاصة الهاتف ، بأشكاله الجديدة ، والإنترنت هو نمو يرقى واقعه إلى مستوى الثورة التى تنعت اليوم بـ "ثورة الإعلام والاتصال " أو "ثورة المعلومات ".

من هنا تستمد هذا القراءة قيمتها ، أى من "استفزاز "هذه الثورة لنا ، خاصة أنها ثورة مفككة للمعايير التقليديةفى الاقتصاد والثقافة والاجتماع ، ففى مجال الاقتصاد لم يعد مصدر تراكم الثروات يؤسس على ماهو ماكرو – مرئي من صناعات ثقيلة

بل أصبح يؤسس على ماهو ميكرو - لامرئي ، من خلال الإرسال الرقمي وشبكة الآلاف المتطورة . أما في الثقافة فلم يعد المعيار الواضح للتمييز هو ثنائية الأمية والتعلم ، بل ثنائية البطء والسرعة في اقتحام عوالم خيالية وسبرأغوارها لحيازة أخبار ، معلومات وأموال أكثر وفي الاجتماع لم يعد التمييز ينطلق من معيار أيديولوجي يتعصب للكائن الاجتماعي أو الحلم اليوتيوبي فنكون أمام مجتمعات رأسمالية حرة أو اشتراكية حداثية أو مابعد حداثية ، زراعية أو صناعية وهى كلها نعوت أيديولوجية يعانق فيها الكائن الاقتصادى ما ينبغي أن تكون عليه البنيات السوسيو - اقتصادية .

لقد تحول التمييز اليوم إلى ثنائية مجتمعات اتصالية وأخرى غير اتصالية .

أكيد أن لهذه الثورة المتسارعة حلقاتها المنفتحة آفاقها على ممكنات متنوعة جعلت بيل جيتس صاحب "ميكروسوفت " يعلن تواضعه أمام ما ستجود به الخيالات الا بتكارية للأجيال المقبلةأن لهذه (الثورة) آثارا إيجابية مثلما لها آثار سلبية ، مما يؤديإلى النظر إليها بمنظورين متعارضين :

منظور متفائل ومنظور متشائم ومن المؤكد أيضا أنها ثورة معضدة للموجة الكوسموبوليتية للعولمة ، على الرغم من أننا نحن أبناء الجنوب بصفة عامة ، والعرب بصفة خاصة ، نجد أنفسنا ظاهرا غير "معنيين"بهذه الثورة ما دامت أسئلتنا "بدائية " ترتبط بالخبز والعمل والرأي . لكن هذا الاعتراض التبسيطي لا يخلو من سذاجة حين يفصل بين عولمة كاسحة وثورة معلوماتية جامحة، هى قاعدة تجسيد هذه العولمة تجارة وثقافة وأحكام .

ليس لنا إذن أن نستنسخ موقف الأجداد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر رافضين كل انفتاح على الغرب قابعين فى قوقعة تخلفنا حتى داهمنا الاستعمار بمدافعه وبعثاته العسكرية والدينية والثقافية من هنا تنبع قيمة هذا القراءة التى ترصد مظاهر هذه الثورة الإعلامية – المعلوماتية وتحدد أهم نتائجها الايجابية والسلبية من خلال مستويات أربعـــــــة :

أولـهـا : إبراز العلاقات القائمة بين الإعلام من جهة والديموقراطية والعولمة والأيديولوجيا من جهة ثانية .

ثانيها : استجلاء أهم مضامين النقد الموجه من طرف المثقف في الغرب لتأثيرات وسائل الإعلام بمختلف قنواتها التعبيرية والكشف عن أسس أيديولوجيا "الاتصال ".

ثالثها : بيان الآثار الإيجابية لوسائل الإعلام وشبكات الاتصال كآثار هي مبررات التبشير المتفائل بمجريات هذه الثورة وإيجاباتها، في مقابل تلك الآثار السلبية لتلك الوسائل والشبكات كآثار تحمل فئة من المثقفين على صياغة رؤية متشائمة لما تحبل به هذه الثورة من احتمالات قوية لتضييع العلاقات الاجتماعية وتسطيح الرسائل الثقافية التى اعتمدت عبر قرون طويلة على الكتاب المحفز للقارئ على شحذ ملكات السؤال ، التحليل والنقد.

رابعها : الكشف عن واقع الإعلام العربي وما يعانيه من ضعف في الأداء والا ستثمار مقابل تضخم في الخطابة والأيديولوجيا؛ وهو إعلام على رغم ما تميزبه منذ قرن من تضحيات جسيمة لبعض أعلامه ،فإنه يظل إعلاما غير منخرط بعد في المعركة الإستراتيجية التى تستحضر الحرب الإعلامية إلى جانب الحرب العسكرية - الدبلوماسية .

من هنا تتولد حرارة الدعوة بضرورة ركوب النخب الاقتصادية، السياسية والثقافية مغامرة الاستثمار المادي والرمزي فى قطاع الإعلام والاتصال الذي تحول إلى قطاع منتج ومؤثر ماليا وفكريا يدر أرباحا طائلة ،

كما يجذب إليه يوميا "مدمنين" جددا خاصة بالنسبة إلى التلفزيون والإنترنت ليس لنا القدرة فى هذا السياق على ادعاء امتلاك رؤية شمولية لكل العناصر الواقعية والثقافية الضرورية بحقل متسارع التطور كما هي متسارعة وتيرة ظهور كوادر فكرية إعلامية وإشهارية مواكبة لهذه الثوره . كما أنه لا يمكن أن نقدم لصورة تحن إلى عصر السيادة الكلية والوحيدة للكتاب ، لكن لنا مشروعية إعلان ليس بإمكان كل جديد أن يعد بتجسيد " الجنة " الموعودة ، فخلف كل دعوة تبشيرية تتخفى مصلحة حاملها ،خلف هذه الدعوة يسيل لعاب أباطرة المال وسماسرة البورصات الجدد من خلال الإنترنت .

لكن محكوم علينا أن ندخل هذا الجيل الثالث من الثورة المعاصرة كجيل ثورة معلو ماتية خاصة ، وأن التمييز مستقبلا سيكون بين من هو أكثر سرعة ، ومن هو أكثر بطئا كما أكد "ألفن توفلر".

مقاربة تحليلية للثورة المعلوماتية :

وبالنظر للثورة المعلوماتية الراهنة يمكن طرح مقاربة تحليلية نقدية تعرض لعناصر أربعة أساسية هى :

الإعلام بين الديموقراطية والعولمة .

المثقف والثورة المعلوماتية .

ثورة الإعلام والاتصال بين التفاؤل والتشاؤم .

الإعلام العربي ومطالب "السلطة الرابعة".

الإعلام بين الديموقراطية والعولمة :

قدم عالم الاجتماع الفرنسيى بيير بورديو P.Bourdieu بتاريخ 11 أكتوبر 1999 أمام المجمع العالمي ، دراسة عن علاقة المال بالإعلام حيث عرض أمام "أسياد العالم الجدد " عناصر المنطق الجوهرى للصناعة الثقافية الجديدة التى تعتمد الربح السريع فى مجال الإعلام والمعلوماتية المتسم بتبضيع المنتج الثقافي فى حقول الاتصال كالراديو والتلفزيون والفن ، خاصة السينما التي أضحت تجارية ، إذ على كل واحد ، من الكاتب إلى التقني فالمخرج أن يحسب حسابه بدقة .

لقد أمس عالم الإعلام والثقافة معرضا لخطر حقيقي يتجلى في ضرورة تحصيل الربح الأقصى والفوري ، انسجاماً مع معايير العولمة التى ليست عولمة لثقافة كونية كما تحقق فن فترات تاريخية سابقة بل هي عولمة تجارية تستهدف أوسع جمهور ممكن لاستهلاك منتجات "الكيتش" و"الجينز"و "الكوكاكولا ". كانت دعوة بورديو الموجهة لأسياد العالم الجدد واضحة : ضرورة إحياء عولمة ثقافية مقاومة للعولمة التجارية الراهنة . إنها الدعوة التى لاتحمل وهما أمام هؤلاء الأسياد لأن مثقفا كبيرا وعالميا كبورديو سيكون موضع سخرية أمامهم إن هو حاول وصف حالة الإعلام الدولي لعقول تدبر لهذا المجال التدبير المحكم ،

فهو كما اعتراف أبعد عن وضع المسألة الجريئة التى مارسها "سقراط" على سادة زمانه.إن وضعية "بورديو" إزاء هذا " المجمع " المغلق لأصحاب المال كأصحاب سلطة فعلية يدفعنا إلى مطارحة مسألة الإعلام من المثقف وذلك من مداخل ثــلاثــة :

- الإعلام والديمقـراطية .
- الإعلام والعولمة .
- الإعلام والأيديولوجيا .

أولاً : الإعلام والديموقراطية :

يعتبر الإعلام سليل الديموقراطية لأن انتشار الصحيفة وبعدها محطات الإذاعة وقنوات التليفزيون هو انتشار جوهري مع تعميم الديموقراطية وانتشارها في أوربا وأمريكا الشمالية تعميما وانتشاراً في مفاصل السياسة (حرية القول والتعبير والانتماء) والاقتصاد (حريات الاستثمار وتحويل البضائع ورؤس الأموال) والثقافة (حريات التفكير والإبداع والتعبير عن الهويات المختلفة).

هكذا يكون الإعلام حلقة واحدة من حلقات تطور سيرورة الديموقراطية خاصة في الغرب كموطن جذري لنشأتها غير أن تحول إلى علامة تشير إلى غيابها بغيابه وإلى حضورها بحضوره .

إن قوة الإعلام من قوة الديموقراطية وضعفه من ضعفها بل ثمة أراء وأطروحات تجتهد في إثبات أن الإعلام هو المدخل الحقيقي لتطوير الفعل الديموقراطي (35) .

وللإعلام فضل كبير يتجلى في قدرته على تحقيق التواصل بشكل فعال ، وتحويل العالم إلى قرية صغيرة ، كما بشر بذلك ماكلوهان ، بما يعني هذه النزعة التبشيرية المتفائلة بقدرة الإعلام على تحقيق فعالية كبرى في التواصل ، هو تلاحق سرعة ابتكار كائنات اتصالية من الإذاعة إلى الشاشة فالفاكس وصولاً إلى الإنترنت .

هناك من يضع نقد هذه الأيديولوجيا التواصلية التي صيغت صياغة يوتوبية (36) منذ وضعه لأسس علم السرنيطيقا.

يكمن أحد أوجه هذا النقد في السؤال الذي صاغه منذ سنوات الباحث الكندي ميشيل سينيكال المختص في الاتصال التلفزيوني حيث طرح السؤال : هل التفاعل الاتصالي يؤدي إلى الديمو قراطية؟(37) .

فأجاب : بأن لفظة التفاعل تحضر بتضخم في خطاب رجال الأعمال والسياسين كلما تعلق الأمر بالقدرة الإلكترونية السيارة للإعلام والهدف هو الترويج لمشاريع تجارية وأخرى سياسية تختفي وراء التقدم الإعلامي والاتصالي كأسطورة تقنية ثقافية جديدة (39) .

إن تدويل وسائل الاتصال لا يؤدي بالضرورة إلى التفاعل والتواصل وهذا يعني أن تطوير تقنيات الإعلام والاتصال لا يطور بالضرورة سيرورة الفعل الديموقراطي ولا حاجة هنا لإثبات أن العديد من القنوات الإذاعية والتلفزيونية هي ملك رجال الأعمال أو ملك أنظمة سياسية مستبدة في أفريقيا وآسيا .

من هنا فإن تطور الإعلام لا يحمل في طياته تطويرا للديموقراطية بل تقدم تقني في طرائق الاتصال وأساليب التفاعل بالصوت والصورة (الإنترنت مثلا) من دون إخصاب لديموقراطية سياسية وثقافية .

إن تعميم فكرة وسائل الاتصال وتشديد القول على علاقة الإعلام بالديموقراطية هما من إنتاج رجال المال الذين صاغوا "حرية التعبير التجاري "باعتبارها حقاً جديداً من حقوق الإنسان كما يظهر " أرمان ماتيلار " كأحد الباحثين المهتمين بمسألة الإعلام وإيديولوجيا التواصل .

من هنا دعوى التفاؤل بقيام علاقة ضرورية بين وجود الإعلام ووجود الديموقراطية دعوى غير حقيقية تؤكد المظهر الإيجابي وتغفل الأعماق السلبية التي تجعل صناعة الإعلام صناعة تجارة وفعل سياسي

ثانياً : بين الإعلام والعولمة :

ليس إثباتاً جديداً أن الإعلام في تطوره التقني هو من نتائج العولمة الاقتصادية لأن حجم الاستثمار في قطاع الإعلام يخترق الاقتصادات الوطنية نحو منظومة الاقتصاد الدولي ، وليس إثباتا جديدا تأكيد أن العولمة ليست ظاهرة جديدة ، لأن توسع الإمبراطورية الرومانية كان حاملا لعولمة ذات وجه ديني - ثقافي من دون غياب عناصر الجند والتجارة والسياسة ، غير أن الهيمنة الجديدة للمتربولات الاقتصادية الحالية ، وتدويل الرساميل وسرعة انتقالها وتحويلها هي هيمنة جديدة في أبعادها الكونية والشمولية حيث تضافر السيادة السياسية لنظام عالمي جديد تحكمه الولايات المتحدة الأمريكية،

وتنضده وفق مصالحها ، تتضافر السيادة السياسية مع هيمنة رأسمالية واضحة فيكون زواج السيادة السياسية الدوليةمع الهيمنة الاقتصادية العالمية أساس أمركة حقل العلاقات الدولية والاقتصاد العالمي ،وثقافات المجموعات الكبرى لا الصغرى فحسب .

إن العولمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود مجتمع الخمس الثري في مقابل الأخماس الأربعة من الفقراء كما حدد ذلك رجال المال والسياسة بفندق فيرمونت بسان فرانسيسكو في نهاية سبتمبر 1995(41) .

كما أن هناك نقدا يوجهه من داخل مراكز العولمة لا من أطرافها على سبيل المثال فهذا عالم الاقتصاد الأمريكي (بول كروغمان) ينتفي التفاؤل المفرط في الثقة بقوة الاقتصاد الليبرالي كعلامة على قوة العولمة فارتفاع مؤشر النمو ليس دليلا على سلامة المنظومة الاقتصادية الليبرالية لأن القطاعات الاقتصادية الكبرى بأمريكا مازالت خاضعة لميكانيزمات الاقتصاد الكلاسيكي وهذا يعني أن النتائج الراهنة لنمو الاقتصاد الأمريكي هي نتائج ظرفية (42) .

ومن هنا تكون العولمة أمريكية في جوهرها ويكون الاقتصاد الأمريكي غير ثابت في نموه واختراقه للأنساق الاقتصادية المحلية الوطنية ، وهذا يميط اللثام عن واقعة جوهرية ، وهي أن علاقة الإعلام بالعولمة هي علاقة أسواق محلية مستقبلة بمركز أمريكي منتج حيث يبدو أن فاعلية المجتمع المدني في ممارسة أدوار موازية هي فاعلية ضعيفة في المجال العربي (43) .

وتشير الأدلة الواضحة إلى أن علاقة الإعلام بالعولمة حاملة لبعد تجاري أساسا ، وأن عنوانها هو أمركة المجالات الإعلامية الكبرى على مستوى الشكل (التقنية) والمضمون (الثقافة) .

إن عولمة قطاعات الإعلام والاتصال هى تسويغ لأيديولوجيا الإشهار ، وخطاب الدعاية فإذا كانت مخترعات الهاتف والفاكس والإنترنت ووسائل التنقل تقتصد مجهود التنقل والبحث عن المعلومة، وتبليغ الخبر فإنها مبطنة لحضور البعد التجاري ، عبر اعتماد الخطاب الإشهاري ، إنها أيديولوجيا النيوليبرالية التي تدين كل منطق نقدي بأنه يحن إلى سوسيولوجيا ماركسية مبسطة ، وينشد العودة إلى الزمن الماضي زمن ماقبل سقوط جدار برلين ،

إن هذه الأيديولوجيا التي تتذرع بالحريات وحقوق الإنسان في الاستهلاك والإنتاج تمارس استبدادا مطلقا يؤيد كل نزعة نقدية خاصة حين لا تجد سلطات مؤسساتية مضادة تقف في طريقها ، وهي السلطات التي لايمكن أن تنبثق إلا من بواطن المجتمع المدني .

ثالثاً : الدور الأيديولوجي وتأثيره الإعلامي :

في كتابه "نهاية الأيديولوجيا" أعلن دانييل بيل سنة 1962م تصفية حسابه مع الأيديولوجيا ، ونقده للصناعة الثقافية معلنا قيام مجتمع ما بعد صناعي يتمحور في حركته حول الذكاء وصناعة الإعلام وفي هذه الدعوة المعلنة عن نهاية الأيديولوجيا إشارة قاطعة إلى قيام طلاق بائن بين الإعلامي والأيديولوجي ، وهى دعوة وقع تحيينها وتحقق تجديدها بعد تفكك المنظومة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفييتي سابقا ، حيث إن غياب مرجعيات التناحر الأيديولوجي بين الكتلتين الشرقية والغربية ، سيشرع المجال للتبشير بعصر ليبرالي جديد ، يتميز بقيم السوق والتنافس وتحرير المعاملات والتبادلات التجارية، فهل صحيح أن الأيديولوجيا اندحرت وانكمشت بفعل وقائع تاريخية

أهمها سقوط جدار برلين وأخرى تقنية علمية أهمها تطور المخترعات المعلوماتية والاتصالية والأيديولوجيا كوعي اجتماعي، ينضد مصالح فئة أو طبقة اجتماعية معينة على مستوى الأحكام والتصورات والقيم الثقافية، تظل حاملة لدلالات إيجابية وهذا يعني أن أي خطاب لا يخلو من ضمنيات أيديولوجية ، مع العلم أن التسليم بوجود الأيديولوجيا كالهواء في كل قول وفعل .تفكيرا وممارسة لايشر عن للكسل الفكري الذي يقطع في أحكامه بوجود الأيديولوجيا .

إن الأيديولوجيا ذات حضور طبيعي في كل تجليات الفكر والعمل البشريين ، ولكن ما هو غير صحيح هو حين تتحول إلى وعي زائف، وبالأخص إلى سلطة مؤسساتية كليانية ، تقمع الأفراد والجماعات ومن هنا تكون الأيديولوجيا محايثة لكل خطاب إعلامي لكن آليات اشتغالها تباين آليات اشتغال منظومات قولية خطابية بل وشفهية أخرى .

فما أهم حضور الأيديولوجيا في مجال الإعلام ؟

لعل أول تجليات هذا الحضور : هو الإشهار الذي يظهر قوة تأثيره في الفضاء الإعلامي، بل يجب ألا نغفل أن الإشهار شكل منذ الثمانينيات من القرن العشرين الحل الذهبي والمفتاح السحري بالنسبة إلى الشركات الكبرى لمضاعفة رأسمالها باختراقها أسواقاً واسعة واجتذابها قاعدة ممتدة من المستهلكين لمنتجاتها.

غير خفي أن الأيديولوجيا الإشهارية تشتغل بآليات سمعية - بصرية حيث لعنف الصورة دور نافذ في تعنيف خيال القاريء أوالمشاهد ، إنه العنف الذي ينضده تلاحق سريع لأصوات وصور لها قوة الاشتراط السيكولوجي للمتلقي ، بحيث يقع إعداده للهاث وراء البضاعة التي هي موضوع الإعلان الإشهاري .

أما التجلي الثاني : لحضور الأيديولوجيا في مجال الإعلام فيتمثل في تحويل المنتج الإعلامي ذاته إلى بضاعة تخضع لمنطق تجاري محض ، وهنا يتحول الإنتاج الثقافي أيضاً إلى بضاعة ثقافية مما يعني وبشكل نموذجي إفلاس الثقافة وسقوطها في فخ التجارة ، كما أكد من قبل أدورنو وهوركايمر كفيلسوفين مثلا الاتجاه النقدي المناهض للعقلانية التقنية .

في حين أن التجلي الثالث : يكمن وبقوة في احتكار الثورة الإعلامية – المعلوماتية ، فمهما تذرع أيديولوجيو ثورة المعلومات والاتصالات بأنها ثورة تؤدي إلى اقتسام ثروة المعلومات والأخبار   فإن القرائن تظهر أن تدفق المعلومات هو تدفق يتحكم فيه عقلان :

العقل الأول :عقل اقتصادي يعادي النزعة العقلية ويهرع وراء تراكم رأس المال .

العقل الثاني :عقل سياسي يعادي هو الآخر النزعة النقدية ويهرع وراء تأييد سيادة السلطات المؤسساتية القائمة .

إن تداول المعلومات ليس فعلاً مشاعاً وديموقراطياً بل هو فعل نخبوي وخصوصي .

أما التجلي الرابع : لحضور الأيديولوجيا في حقل الإعلام فيتمثل في تقنية الإضمار التي تحبك تفاصيلها وسائل الإعلام ، خاصة المرئية منها فبفضل الصورة واعتمادا على رقيب حاضر دون أن يكون مرئيا تتم تورية حماقات الحروب ، ويقع تقنيع لأبشع الجرائم لتكنفي وجبات إخبارية سريعة ومبتذلة .

أما خامس تجليات : حضور الأيديولوجيا في مجال الإعلام فيتصل بسرعة الإرسال والتلقي فالمواد الإعلامية والمعلوماتية تتلاحق وليس هناك مجال لقراءتها في تأن وروية ، فخبر اليوم يمحو خبر الأمس وخبر الغد يمحو خبر اليوم كما أن المخترع التقني مصيره المحو من طرف مخترع آت لامحالة .

الفجوة الرقمية والإعلام العربي :

يواجه الإعلام العربي العديد من التحديات لعل من أبرزها الفجوة الرقمية في عصر المعلوماتية والتي تتمثل في الخلل الإعلامي والمعلوماتي بين من يملكون التكنولوجيا الاتصالية والمحرومين منها خصوصا في الدول العربية غير الغنية نفطيا ، التي تنتشر فيها الأمية والبطالة وتفتقد إلى وجود البنية التحتية للاتصالات .كما أن هناك اجماع أن الفجوة الرقمية تحمل بين جوانبها كل أشكال التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ولا يمكن اعتبارها تكنولوجية فحسب، فالتكنولوجيا كانت دوما منتجا اجتماعيا ثقافيا ، سواء في نشأتها أواستخداماتها وتوظيفها ولذلك يرتبط إلغاء الفجوة الرقمية بإلغاء الفجوات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سواء على المستوى العالمي أو داخل البلدان العربية (44).

* تزايد الفجوة الرقمية وأثرها على الإعلام العربي :

تعني فجوة العقل الإعلامي العربي وجود رؤى نظرية عدة في حقل الإعلام ، تتباين تداعياتها لدى علماء الاتصال والإعلام والممارسين الإعلاميين ، وجمهور المتلقين وفي المحاولات الدءوبة التي تقودها القوى المتحكمة في السوق العالمية من أجل عولمة الثقافة والتعليم والدين

ففي ظل الصراع الثقافي والتحديات الحضارية تبرز فجوة العقل الإعلامي ، حيث لم تعد تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تشغل موقعا مركزيا فحسب في شبكة الإنتاج ، بل أصبحت تشغل في استراتيجية إعادة تشكيل منظومة العلاقات الدولية على المستوى السياسي بين الحكومات ، وذلك بالترويج لما يسمى "بالشرعية الدولية "ومعاييرها المزدوجة ، وعلى المستوى الثقافي بين الثقافات المختلفة بإعلاء شأن الثقافة الغربية وعلى الأخص الطبعة الأمريكية منها وتهميش ثقافات الجنوب، وعلى المستوى الاتصالي بالترويج لما يسمى " القرية الاتصالية العالمية " متجاهلا عن عمد التفاوت الحاد بين معدلات التطور الإعلامي والمعلوماتي بين أجزاء العالم ، شمالاً وجنوباً سواء تمثل ذلك في تكنولوجيا المعلومات والاتصال أو في الإشعاع الإعلامى والمعلوماتي، وتتجلى فجوة العقل الإعلامي في ثلاثة مجالات رئيسية :

أولاً :تعددية الرؤى الفلسفية والنظرية في هذا الحقل المعرفي المهم.

ثانياًً : تنوع الممارسات المهنية في وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع .

ثالثاً : طبيعة الجمهور المتلقي والتي تزخر بكثير من التباينات الاقتصادية والثقافية والديموجرافية علاوة على تعدد مستويات الوعي السياسي والاجتماعي (45) .

* الإعلام في إطار ثقافة عصر المعلومات المعلومات :

- من الإعلام إلى التواصل :

يرتكز مفهوم الإعلام أساسا على مهمة توجيه الرسائل من المرسل إلى المستقبل ، أما التواصل فهو ثنائي الاتجاه لا يقتصر على إبلاغ الرسائل ، بل يتجاوز ذلك إلى مهام التعليم والتعلم والتراسل والتحاور، عن بعد وأهم من هذا وذاك إقامة ساحة إعلامية لدعم المشاركة في توظيف المعرفة القائمة، وإنتاج المعرفة الجديدة . ويحتاج التحول من الإعلام إلى التواصل إلى إقامة بنية تحتية مغايرة في شبكات الاتصالات ذات السعة العالية ، مما يخشى معه نظرا لارتفاع تكلفتها ظهور نوع من الفجوة الإعلامية ، تفصل بين العالم المتقدم والعالم العربي وبين المجتمعات العرية ذاتها .

- الانتقال من الإعلام الفوقي إلى الإعلام الشعبي :

تقوم عظمة الإنترنت على احتوائها الصحافة والإذاعة والتليفزيون والبحث عن المعلومات ، لقد وفرت الإنترنت وسيطا إعلاميا غاية في الإثارة والمرونة ، يجمع بين البث على نطاق عريض والبث على نطاق ضيق والبث المصوب للأفراد أو فئة محدودة من الأفراد .

الأخطر من كل ما سلف أن الإنترنت وفرت ساحة إعلامية مغايرة تماما للإعلام الجماهيري ذي الطابع الفوقي ، فمن خلال ما يعرف بالشبكات الاجتماعية اليوتيب والفيس بوك وانتشار المدونات ظهر ما يمكن أن نطلق عليه الإعلام الشعبي المنبثق من أسفل إلى أعلى.

إن انتشار المدونات العربية إضافة إلى عدة مبادارات ناجحة لصحف عربية ولدت إلكترونية ، تشير إلى تغيرات جوهرية سوف تطرأ إن عاجلا أو آجلا على ساحة الإعلام العربي الرسمي وغير الرسمي على حد سواء .

* التوقعات المستقبلية لتطور الفكر الإعلامي :

- التوقع الاقتصادي النفسي :

الانتباه لسلعة نادرة ، فقدرة الإنسان على تلقي المدركات الحسية محدودة بقيود فسيولوجيا الجهاز العصبي إن ثراء المعلومات الحالي يقابله كما خلص البعض فقر في الانتباه ، حيث يتم على حساب استهلاك الموارد الإدراكية وهو ما أدى إلى ظهور ما يعرف ب اقتصاد الانتباه، الذي تسعى أجهزة التسويق للشركات العالمية إلى توظيفه من أجل اقتناص أكبر نصيب من سوق الانتباه وذلك باستحداث أساليب مبتكرة لاجتذاب المشاهدين ،

و تشكو أغلبية المواطنين العرب من أمية إعلامية تجعلهم لقمة سائغة لمثل هذه الأساليب ، مما يستوجب محوها من خلال المدرسة ومنظمات المجتمع المـــدني .

- التوقع اللغوي

تتضمن دساتير الأداء لكبرى المؤسسات الإعلامية قواعد صارمة وملزمة في انتقاء الكلمات ، وكيفية صياغة نص الرسالة الإعلامية ، وقد أدى ذلك بدوره إلى اهتمام الفكر الإعلامي بلغة الإعلام .

حيث دأب الإعلام الغربي على إساءة استخدام اللغة بهدف التغطية على الجرائم التي يقترفها الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين ، من قبيل استخدام المناطق المتنازع عليها بدلاًمن الأراضي المحتلة، وإغلاق المنافذ بدلاً من الحصار، والمجاورات بدلاً من المستوطنات ، والمتعاونين من الفلسطينيين بدلاً من العمــلاء .

هناك كم هائل من هذه النصوص الإعلامية تكفي لدعم بحوث لغوية جادة لا تفهم لغة الإعلام فحسب بل الإصلاح اللغوي بمعناه الشامل (46) .

* الإعلام ومجال الثقافة :

أو هو جزء من الثقافة بمفهومها الشامل ، وليس الإعلام (الإخبار) كما تشير التسمية العربية : إلا أنه يبدو أن دلالة كلمة (إعلام) في العربية - بمعنى : إيذان ، أو أذان ، إخبار وإشعار - قد طغت فى الأذهان ، على الدلالة التعليمية التثقيفية للمصطلح وعلى الوظيفة الآخذة لذلك الجانب التثقيفي بقوة في التطبيق . ولعل التسمية الإنجليزية ، المتعلقة بالمعلومة والمعرفة (information) كانت الأدق والأوفى إيحاء بدور الإعلام الثقافى والمعرفى ، في حين ضللتنا - نحن العرب - التسمية العربية (إعلام) عن أصالة الجانب المعلوماتي - المعرفي والثقاقي - في الإعلام .

والمعلومة هي لب المعطى الثقافي والمعرفي ، مما يؤكد التلازم بين الإعلام والثقافة . ولذا فقد ظلت - على الصعيد الثقافي - أندية الأدب والمراكز الثقافية في الوطن العربى ضعيفة بشكل يستوجب البحث عن حل ناجح ، ومن الحل الناجح مساندة الإعلام لتلك المنابر ، التى بقيت منعزلة أو معزولة لسنوات ، ولم يتحول الهم المعرفي اجتماعيا إلى هم عام

إن المشكلة تبدو ، إذن فى غياب الذراع الإعلامي عن الثقافة ؛ إذ كان لا بد من استثمار ما يملك الإعلام من وسائل تمكنه من مخاطبة كل الناس ، وإثارة اهتمامهم وشدهم إلى مجالات الفكر والأدب والمعرفة ، وخلق توجه عام للاهتمام بمعارف العصر، وأفكاره وتفاعلاته

ذلك لأن الثقافة ، أيضاً لم يعد فى الإمكان تقديمها بالطرق التقليدية ، فالناس لن يحضروا منابر الثقافة ، كما كانوا فى الماضي لأن الواقع قد اختلف ، ووسائل التثقيف والتلقي قد اختلفت . وهنا يأتي دور الإعلام ، لتجسير الهوة الثقافية والمتلقى. ومن ثم تظهر أهمية دعم خطط الإعلام العربي فى مجال ، وتطوير مشروعاته المستقبلية فى هذا المجال ، أملا فى صنع حركة ثقافية فاعلة ومؤثرة عربياً وعالمياً.

إن الوطن العربي يعج بالفعاليات الثقافية من مهرجانات وندوات ، ومؤتمرات . وعلى الرغم من ذلك المد الأفقى والرأسيمن الاهتمامات الثقافية ، فإن الإعلام العربي لا يواكبه بتغطية كافية أو شبه كافية، عن أن يكون له دور التفعيل والتحفيز والجذب . وليس القصد بالمواكبة تلك التغطيات الإخبارية التى قد تبث إنتاج فاعلية ما مباشرة عبر الأقمار الصناعية ، وإنما القصد التغطية الشاملة لأيام المهرجانات والفاعليات ،

وبشكل احترافي، وحي وشامل ، ومغر بحراك ثقافي جماهيري . وهو واجب ثقافي إعلامي، لا بد أن يطمح إلى كثيرمن رسائل يومية مقتضبة ، تقدم- إن قدمت – في هزيع متأخر من الليل ، أو في تلك الفترات التي توصف بالفترات الميتة، لضغف متابعة الجمهور.

إن الإعلام العربي- والحالة تلك- لايزال في طور (الإخبار) لا التثقيف . حتى لقد بات ينظر إلى بعض الفعاليات الثقافية - كتلك المصاحبة لمعارض الكتب الدولية - على أنها مدموغة بطوابع إعلامية وتغلب عليها صيغ العلاقات العامة . ومعنى ذلك الإعلام عوض من أن يخدم الثقافة، أصبح يسخر الثقافة لخدمته وبعبارة أخرى: بدل أن يكون الإعلام وسيلة للثقافة ، صار الإعلام غاية والثقافة هي الوسيلة.

من جهة ثانية ، مازالت الثقافة العربية نفسها تتلكأ في مواكبة التطور الثقافي ، بين ثنائيات تمر بها الثقافة الإنسانية وتتخطاها ونحن لانزال في جدلياتها ويبرز ذلك في مجالين حيويين هما: -

- ما يتعلق بثقافة الصورة عبرتاريخها المديد من السينما إلى التلفزيون إلى اليوتيب .

- ما يتعلق بثقافة الحرف والكتابة من الشفاهي والسماعي إلى برءاة التأليف وصولا إلى النشر الإلكتروني .

إن الإعلام اليوم بوسائله المتعددة لم يعد في العالم قوة رابعة ، بل هو قوة أولى ، ترفده وسائط الاتصال بتقنياتها المتنوعة ، وهو بذلك في مختلف جوانب الحياة ، بل صانع حياة ثقافية شاء ذلك أم أبى أحسن الصناعة أم أساء ، كما أن الثقافة اليوم قد أصبحت ثقافة إعلام واتصال عبرالصورة والتليفزيون والحاسوب والإنتر نت . ولم تعد ثقافة سماع أو ورق وبتلك الكيفية صارت الثقافة مشكلة لاقتصاد الشعوب المعرفي مؤثر في اقتصادها المادي بيد أن الثقافة تعجز عن ذلك كله بلا إعلام جاد ومتطور، والإعلام الجاد المتطور المنافس لما يكتسح الفضاء من تحديات لن يتأتى بطبية الحال دونما تخطيط استراتيجي مستمر ودعم مالي متواصل (47) .

* الإعلام والسياسة والفكر :

في فترات مختلفة من التاريخ الإنساني منذ الصياغات الأولى للتاريخ الفلسفي ، عند اليونان وحتى بدايات القرن العشرين لعب المفكرون والفلاسفة والمثقفون دورا بارزاً في قيادة مجتمعاتهم وتطويرها بل ووجهوا السياسين في أنحاء كثيرة من المعمورة .

فقد كان أرسطو مستشارا للإسكندر الأكبر ، وديكارت مقربا من ملكة السويد ، وفرانسيس بيكون جزءا من البلاط الملكي الإنجليزي وغيرهم من الفلاسفة الذين كانوا عونا وموجهين للعديد من القيادات السياسية ، بيد أن هذا الدور تراجع كثيرا منذ منتصف القرن العشرين أصبحنا اليوم في عالم يقوده السياسيون والمصالح السياسية المرتبطة بالعولمة(48) .

* العلاقة بين النظام السياسي والإعلام :

يمكن توصيف العلاقة بين النظام السياسي والإعلام من خلال علاقة تأثير متبادل ، حيث يؤثر النظام السياسي في وسائل الإعلام من خلال آليات متعددة ، ويختلف حجم التأثير الذي يتبادله الطرفان وذلك وفق طبيعة العلاقة بينهما من مجتمع إلى مجتمع آخر ، وفق درجة الديمقراطية التي يتمتع بها المجتمع ودرجة الحرية السياسية التي ينعم بها الأعلام في معالجة قضايا المجتمع ودرجة استجابة النظام السياسي لملاحظات الإعلام على الأداء التنفيذي في واقع الحياة.

* تأثير النظام السياسى في الإعلام :

تستطيع النظم السياسية أن تؤثر في الإعلام من خلال عدة آليات يمكن اختصارها في النقاط الآتية :-

التشريعات والقوانين المنظمة للعمل الإعلامي.

آليات المتابعة على أداء وسائل الإعلام.

اصدار تراخيص الصحف الجديدة.

قواعد النشر في موضوعات وقضايا معينة.

حجب المعلومات عن وسائل الإعلام في أوقات معينة.

الدعم المالي المقدم لوسائل الإعلام.

إختيار القيادات الإعلامية.

تقدير الاعلاميين على المستوى المعنوي والأدبي.

توفير تكنولوجيا الاتصال اللآزمة لدعم العمل الإعلامي.

توفير البنية الفنية اللازمة لدعم العمل الإعلامي .

مشاركة كبار الإعلاميين والكتاب في دوائر صنع القرار .

فرص الاحتكاك بالخبرات الأجنبية فى مجال الإعلام .

مناخ الحرية الذي تتمتع به وسائل الإعلام فى معالجة قضايا المجتمع.

* دور الإعلام في دعم النظام السياسي:

يؤثر الإعلام فى النظم السياسية من خلال عدد من الآليات يمكن اختصار أهمها في النقاط الآتية :-

التنشئة السياسية للمواطنين من خلال تعريف الجمهور بحقوقه وواجباته السياسية كما كفلها الدستور والقانون من خلال المضامين الإعلامية المختلفة.

التعبئة السياسية للمواطنين ولا سيما في الظروف التي تستدعي مساندة التوجهات السياسية الرسمية إدارة الأزمات المحلية والإقليمية والدولية المختلفة.

تعد وسائل الإعلام بمثابة قنوات اتصالية فعالة ذات اتجاهين (هابط - صاعد) بين النخبة الحاكمة والرأي العام حيث تعكس تصورات نخبة الحاكم لمجريات الحياة على المستوى المحلي والأقليمي والدولي للرأي العام ، كما تعكس فى الوقت ذاته اتجاهات الرأي العام بشأن معالجة النظام السياسي للقضايا المختلفة.

تسهم وسائل الإعلام فى ترتيب أولويات أجندة قضايا العمل الوطني ، من خلال إدراكها لاحتياجات ورغبات المواطنين ، وكذلك إدراكها لتوجهات النظام السياسي خلال مراحل زمنية مختلفة.

إمداد المواطنين بالمعلومات والمعارف حول المستجدات على الساحة السياسية المحلية والإقليمية و الدولية والتعبير عن وجهة نظر النظام السياسي تجاه هذه الأحداث والتطورات ، والتعليق عليها وإبداء الرأي بشأنها.

تعزيز مبادئ الديمقراطية من خلال إتاحة الفرصة للنخبة الفكرية والثقافية لإبداء رأيها بشأن الأحداث الجارية ، ومتابعة الأداء الحكومي ، وإبداء الملاحظات حول بعض الممارسات السياسية وتصحيح المسار الديمقراطي ، وتقديم بدائل وحلول للموضوعات السياسية ، والاقتصادية المختلفة ، والدفاع عن حرية الرأي والتعبير والتعبير عن الفئات المهمشة ، والدفاع عن حقوق الإنسان المختلفة والاستمرار في تقييم أداء السلطات الثلاث الأساسية بالدولة. إضافة إلى إعطاء الأحزاب الفرصة الأساسية للتعبير عن نفسها من خلال الصحف الحزبية.

تسهم وسائل الإعلام في إضفاء الشرعية على النظم السياسية من خلال مساندة الأهداف التى تعتنقها والبرامج والأنشطة التنفيذية التى تقوم بها ، والتقريب بين أهداف القيادة والجماهير .

ويمكن أن تقوم وسائل الإعلام بدور يناقض الدور السابق حيث تسهم في تقويض شرعية النظم السياسية من خلال الانتقاد الدائم لسياساتها وتوجهاتها ، وكذلك تقليل أهمية الأنشطة والبرامج التنفيذية التى تقوم بإنجازها.

تؤدى وسائل الإعلام دورا مهما فى تشكيل اتجاهات الرأى العام إزاء القضايا المختلفة الشائكة على المستوى المحلي والدولي ، بما يساند النظم ويحافظ على شرعيتها ، أو العكس من ذلك فقد تتبني وسائل الإعلام اتجاها مغايرا لذلك الذى تتبناه نظم الحكم ويترتب على ذلك تقويض شرعيتها فى أوساط الرأي العام .

* الدور الإعلامي ومحاولة إيجاد لغة إعلامية واحدة :

من أهم التغيرات التي طرأت على الحياة الفكرية العامة في العقود الأخيرة من القرن العشرين انتشار عدد كبير من الكلمات والمصطلحات ذات الطابع الأكاديمي ، بين أوساط المثقفين غير المتخصصين في فروع المعرفة التي تنتسب إليها هذه المصطلحات بل ودخول بعضها بلغاتها الأصلية في الحديث اليومي بين فئات واسعة من عامة الناس ، الذين يكادون لا يعرفون الدلالة أو الأبعاد الحقيقية لهذه المصطلحات ، مثل كلمة الكمبيوتر والإنترنت والصواريخ ومركبات الفضاء والأقمار الصناعية ، بل وفي بعض الأحيان كلمات مثل ثقب الأوزون والجينات والسوفت وير وما إليها.

وقد انتشرت هذه الكلمات بطبيعة الحال على هذا النطاق الواسع بفضل تقدم وسائل الإعلام والاتصال ، التي ساعدت على سهولة التدفق المعلوماتي وبعد ان كانت هذه المصطلحات والمعلومات حكراً على فئة مميزة من العلماء والأكاديميين والمتخصصين في المجتمعات المتقدمة ، علمياً وتكنولوجياً شاعت حتى في المجتمعات القبلية التي كانت حتى عهد قريب ، تستمد كل معارفها ومعلوماتها من الكبار عن طريق الرواية الشفهية ،

إلى أن عرفت طريقها إلى الراديو ثم التليفزيون ومن بعدهما الفيديو ، وظهر نتيجة لذلك ما يمكن اعتباره لغة مشتركة بين معظم مجتمعات العالم من ناحية ومختلف قطاعات وشرائح المجتمع الواحد من ناحية أخرى .

فوسائل الإعلام والاتصال تزود الناس وبخاصة من الأجيال الجديدة بمعلومات جديدة وبثروة لفظية ، تختلف كل الاختلاف عما توارثته الأجيال السابقة ، وتناقلته بأساليبها البسيطة التي أصبحت ساذجة ومتخلفة أمام إنجازات العلم والتكنولوجيا الحديثة ، ومع دخول هذه الألفاظ والمصطلحات والتعبيرات وما يرتبط بها من أفكار وتصورات ومفاهيم ، يعتبر عامل قوة وثراء للغات التي تتقبلها وتدرجها بصورتها الأجنبية الأصلية ضمن قاموسها اللغوي ، فإن الكثيرين من الكتاب والمفكرين يرون أن هذاالتسلل اللغوي قد يكون مصدر تهديد لمقومات اللغة الوطنية ، ولذا يجب الحد من انتشارها ، أو على الأصح يجب ترجمتها إلى تلك اللغات لتقريبها من الأذهان أولاً وللمحافظة ثانيا على الهوية الوطنية لتلك اللغات .

والواقع أن المسألة أخطر بكثير من مجرد انتشار ألفاظ أو دخول مصطلحات غربية إلى اللغات الوطنية . فالكلمات تحمل كثيراً من معالم ومقومات الثقافة ، التى تؤلف هذه الكلمات جزءاً منها ، ولذا فإن انتشارها خارج حدودها الوطنية يعنى انتشار مقومات وأفكار وتصورات ومفاهيم ، بل وقيم هذه الثقافة وبالتالي إخضاع الثقافات الأخرى التي تتقبل هذه الكلمات والمصطلحات لهيمنتها . ولما كانت لغة الغالبية العظمى من تلك المصطلحات العلمية هي اللغة الإنجليزية نظرا لتفوق المجتمع الأمريكي في مجال العلوم والتكنولوجيات الحديثة المتطورة ، فقد أدى ذلك إلى انتشار اللغة الإنجليزية فى معظم أنحاء العالم ، وإلى مزاحمتها اللغات الوطنية والقومية فى كثير من الأحيان ولم يكد يفلت من ذلك حتى المجتمعات واللغات الأوربية ذاتها .

وليس من شك فى انتشار هذه المصطلحات والتعبيرات التى تصاغ فيها هذه المصطلحات والمفاهيم ، التي تحملها يساعد على التقارب بين الشعوب على الأقل في هذه المجالات المحددة وأن كان يثير في الوقت ذاته التساؤل عما إذا كان ذلك يؤدي في آخر الأمر إلى قيام لغة عالمية واحدة يمكنها تحقيق هذا التقارب على الوجه الأكمل ، وهل يمكن للغة الإنجليزية التي تجد كل هذا الانتشار والإقبال أن تتولى هذه المهمة الضخمة ،

أم أن الأمر سوف يحتاج إلى (اختراع) لغة لها من السهولة وبساطة التركيب والقدرة على الذيوع مما يساعد الشعوب المختلفة على تقبلها واستخدامها ليس فقط في النشاط العلمى والتكنولوجي المحدود ، بل وأيضا في كثير فى أنشطة الحياة الأخرى مع الاحتفاظ فى الوقت ذاتة بلغاتها الوطنية ؟ ثم ما الشروط التى يجب توافرها فى مثل هذه اللغة حتى يمكنها فرض نفسها على شعوب العالم ؟ .

ولقد شغلت مجلة أتلا نتيك الشهرية **Atlantic Monthly** الأمريكية نفسها بهذه المشكلة وشاركها فى ذلك عدد من المعاهد ومراكز البحوث التى تهتم بمستقبل اللغة فى عالم سريع التغير ، نتيجة لتقدم أساليب وتكنولوجيا المعلومات والاتصال .

ففي عدد نوفمبر 2000م مثلاً ظهر مقال طويل كتبته "باربارة وولراف" – وهي إحدى محررات المجلة – عن إمكان قيام لغة عالمية وماهية هذه اللغة وفيه تذكر أن انتشار اللغات خارج حدود أوطانها يتوقف إلى حد كبير على سهولة اللغة وسرعة تعلمها ، بفضل بساطة تركيباتها النحوية ، وتستشهد على ذلك بأن المتقدمين من الأمريكيين للعمل في الخارجية الأمريكية يحتاجون إلى أربعة وعشرين أسبوعاً فقط لتعلم أى من اللغات الألمانية ، الايطالية الفرنسية ، الأسبانية البرتغالية ، لتقارب تراكيبها النحوية البسيطة مع الإنجليزية ،

ولذلك تنتشر هذه اللغات أكثر من غيرها فى العالم مع بعض التفاوت فيما بينها فى درجة الانتشار ، بينما يتطلب تعلم لغات مثل السواحيلية (شرق إفريقيا) والإندونيسية والماليزية إلى ستة وثلاثين أسبوعاً ويحتاج تعلم الهندية والأوردية والروسية إلى أربعة وأربعين أسبوعاً .

أما تعلم العربية والصينية واليابانية والكورية فإنه يحتاج إلى ثمانية وثمانين أسبوعاً .

وتعتبر الإنجليزية من أبسط هذه اللغات جميعا وأسرعها فى التعلم ، ولذا فإنها مؤهله ومرشحة لأن تكون هي اللغة العالمية التى قد تسود العالم كله فى المستقبل وثمة شواهد كثيرة تشير إلى إمكان تحقيق هذا التوقع (49) .

وأول هذه الشواهد هو ذلك الكم الهائل من المواد المتاحة باللغة الإنجليزية ، على شبكات الإنترنت والتي تقدر بحوالي 80 % من كل المواد المعروضة .

والشاهد الثاني على انتشار اللغة الإنجليزية واحتمال أن تصبح هى اللغة العالمية في المستقبل غير البعيد هو أن الإنجليزية تعتبر الآن لغة العلم التي تستخدم في إجراء البحوث ونشر النتائج على مستوى العالم .

والشاهد الثالث والأخير هو اهتمام دولة كبرى مثل الصين بنشر اللغة الإنجليزية بين الأطفال في المدارس حتى ينشأوا على اتصال ومعرفة بتطورات الحركة العلمية والتكنولوجية في العالم (50) .

ربما كان أهم ما سوف يميز القرن الواحد والعشرين هو زيادة الانفتاح الثقافي والاجتماعي بالمعنى الواسع للكلمة ، الذي يشمل السياسة والاقتصاد وأساليب الفكر ، نتيجة وسائل الإعلام والاتصال المتطورة وسوف يساعد هذا الانفتاح والاتصال على معرفة الثقافات المختلفة والمتباينة في العالم ، وإدراك كنهها ومعرفة رموزها ومعاني هذه الرموز ، مما يؤدي إلى احترام ثقافة الآخرين ، والنظر إلى كل ثقافة منها على أنها منظومة واحدة تتفق في مبادئها العامة مع المنظومات الثقافية الأخرى ، رغم اختلاف العناصر الجزئية التي تدخل في تكوينها والتي سوف يشهد القرن الواحد والعشرون استمرار بعض حركات التغيير والتقدم التي بدأت بوادرها تظهر خلال القرن العشرين .

بحيث يمكن القول أن القرن الواحد والعشرين هو قرن التقدم في مجال العلوم والتكنولوجيا استمرارا وامتدادا لما تم تحقيقه بالفعل وهو مايتطلب سيادة التفكير العلمي العقلاني وتراجع التفكير التفكير الغيبي

وانكماش الخرافات ، وإن كان هذا لن يقضي عليها تماما لأنها تخاطب ناحية معينة في حياة البشر وسوف تزداد المطالبة بالحقوق المدنية وبخاصة في مجتمعات العالم الثالث ، مع إقرار حقوق الأقليات العرقية والدينية واللغوية واستمرار ارتفاع الصيحات بتحقيق مطالب المرأة ، والعمل على إبراز وتوكيد الثقافة النسوية التي تهدف إلى فرض نظرتها الخاصة ، إلى الأوضاع والنظم والعلاقات القائمة بالفعل وإعادة تأويل وتفسير الثوابت التقليدية المتوارثة في الاجتماع والأخلاق والسياسة والاقتصاد ، ومن منظور نسوي خالص بدأت بوادره تظهر خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، ورغم سقوط الحواجزالثقافية بين مجتمعات العالم وازدياد التقرب الثقافيبين مختلف الشعوب فسوف تظهر في الوقت ذاته الرغبة في إبراز وتوكيد التمايز والاختلاف والاستقلال الاجتماعي والسياسي ، لكسر الهيمنة والتي قد تريد بعض الدول فرضها على الآخرين ، كما سوف تزداد داخل المجتمع الواحد النزاعات الفردية على حساب الشخصية الاجتماعية المتماسكة ، وبذلك تزداد حدة التنافس أوحدة الصراع الداخلي بين الأفراد كوسيلة لتحقيق المكاسب الشخصية و إثبات الذات أمام سطوة المجتمع (51) .

هذه الأوضاع الجديدة تتطلب وجود منظومة من القيم الاجتماعية ، التى تتلائم معها وتفسرها وتبررها ، وتعطيها الدعم المكانى المطلوب كواقع قائم بالفعل ، ولابد أن تكون هذه القيم منسجمة ومتجانسة مع الأخلاقيات الجديدة التى تترجم نفسها فى الأخذ بمقتضيات ومتطلبات العلم ومناهجه ، وبأساليب التفكير العقلانى البعيد عن الغيبيات ، وذلك بمتطلبات العمل والقواعدالتى تحكمه وتنظمه فى عصر تسيطر عليه روح المنافسة والصراع ، كما تسوده الرغبة فى تحقيق التقدم والنجاح فى مختلف الميادين مع توفير أكبر قدر من الحرية الشخصية ، والحق فى إبداء الرأى والمشاركة فى الحكم ، وترسيخ مبادئ المساواة والديمقراطية لأفراد المجتمع مع العمل فى الوقت ذاته على تقوية روح الانتماء الوطنى والقومى كوسيلة لمواجهة سطوة وفاعلية وسائل الإعلام التى تعمل على تقويض عوامل التمايز الثقافى والاجتماعى والأخلاقى ، وهيمنة أخلاقيات وسلوكيات وقيم المجتمع الغربى المتقدم على مجتمعات العالم الثالث ومنها المجتمعات العربية والإسلامية ، ولذا فسوف يشهد القرن الواحد والعشرون فى المنطقة العربية التى تهمنا هنا بالدرجة الأولى مزيداًمن التركيز على إذكاء روح الوطنية والانتماء القومى .

وربما كان المثال الذى يحضرنا هنا هو الاتجاه الواضح فى الوقت الحالى نحو التعليم الأجنبى فى كثير من البلاد العربية واعتبار ذلك من دواعى الفخر واكتساب مكانه متميزة فى المجتمع ولكن هذا الاعتزاز سوف يتضاءل ويتقلص أمام الاتجاه الذى بدأ فى التنامى الآن نحو الاهتمام بتعليم اللغة العربية وآدابها وتراثها واعتبار ذلك قيمة مطلقة وليس مجرد وسيلة للارتباط بالمكان الذى نعيش فيه أو مجرد أداة للتعامل والتواصل ، وبطبيعة الحال لن يكون الاتجاه عائقًا على الانفتاح على الثقافات الأخرى ، لأنه لا يتنكر للغات الأجنبية ، ولكنه سوف يضع قواعد للاختيار والانتقاء من هذه الثقافات بحيث نستعير منها ما لا يتعارض مع مقومات الثقافة العربية الإسلامية ، فعنصر الاختيار والانتقاء عنصر مهم فى الانفتاح السليم والفعال على العالم الخارجى ، وفى التأثر والتأثير المتبادلين(52) .

الفضاء المعلوماتي

تراجع المجال العام والتزايد المستمر للفضاء المعلوماتي :

في متابعة ظهور و بروز المدونات والمدونين باعتبار التدوين أصبح رمزا لنشوء فضاء اجتماعى جديد ، فلا يمكن فى الواقع فهم هذه الظواهر المستحدثة إلا فى ضوء التركيز على النقلة الكيفة فى النموذج الحضارى ، من المجتمع الصناعى إلى مجتمع المعلومات الحالى.

والمجتمع الصناعى هو ربيب الثورة الصناعية ، ولم يكن فى الإمكان صياغة وتخطيط مؤسساته وترسيخ قيمته ، إلا فى ضوء المشروع الحضارى للرأسمالية الأوربية التى صعدت على أنقاض المجتمع الاقطاعى الأوربى القديم . وهذا المشروع الحضارى اصطلح على تسميته بالحداثة modernity.

والحداثة مشروع يقوم على عدة أسس هى :

الفردية والعقلانية والموضعية والاعتماد على العلم والتكنولوجيا وتبنى نظرة خطية linear فى التاريخ الإنسانى مبناها أنه يتطور من مرحلة إلى أخرى.والحداثة كمشروع له تجليات مختلفة.

ومن تجليات الحداثة :

- أولها الحداثة الفكرية : التى أعلت من شأن العقل ، وكان شعارها أن "العقل هو محك الحكم على الأشياء". بعبارة أخرى أهدرت الحداثة الفكرية سلطان وسطوة النص الدينى الذى كانوا ينطلقون من رؤى للعالم تتسم بالانغلاق وبالرجعية مما أدى إلى جمود المجتمعات الأوربية وسيادة الاستبداد السياسى لأن رجال الدين المحافظين والرجعيين، وضعوا أنفسهم فى خدمة الطغاة من الحكام الذين مارسوا قهر شعوبهم.

- وهناك وجه آخر للحداثة وهو الحداثة السياسية : التى توجهت لتأسيس مجتمعات ديمقراطية تقوم على أساس تداول السلطة والانتخابات الدورية النزيهة ، وحرية التفكير وحرية التعبير وحرية التنظيم . وفى قلب الحداثة السياسية ولدت فكرة المجال العام (public sphere) .

وهناك إجماع بين العلماء الاجتماعيين على أن المفكر الذى وضع أسس "نظرية المجال العام" هو الفيلسوف الألماني الشهير"هابرماس" فى كتابه المعروف "التحول البنيوى للمجال العام" الذى صدر عام 1962 وكان فى الواقع أطروحته للحصول على درجة الأستاذية فى علم الاجتماع.

ومازال هذا الكتاب هو المرجع الأساسى فى الموضوع حتى الآن بالرغم من أن"هابرماس" طور من أفكاره من بعد وخصوصا في نظريته الاتصالية.

ولعل السؤال الذى ينبغى طرحه الآن: ما هو تعريف المجال العام؟.

المجال العام - كما تعرفه موسوعة ويكيبديا- هو "منطقة فى الحياة الاجتماعية حيث يتجمع الناس معا ويناقشون بحرية المشكلات المجتمعية بعد أن يحددوها ومن خلال مناقشاتهم يؤثرون على الفعل السياسي".

وهو فضاء خطابي (من مفهوم الخطاب) discursive. يجتمع فيه الأفراد والجماعات ليناقشوا الأمور ذات الأهمية بالنسبة لـــهموللوصول - إذا كان ذلك ممكنا - إلى حكم عام.

ويرى بعض الباحثين أن المجال العام أشبه ما يكون بمسرح ينصب فى المجتعات الحديثة يتم فيه تفعيل المشاركة السياسية من خلال الكلام. وهو فى قول آخر "مجال من مجالات الحياة الاجتماعية يتشكل فيه الرأى العام".

ويمكن القول إن "المجال العام" يتوسط بين " المجال الخاص " و "مجال السلطة العامة ". والمجال الخاص يتضمن المجتمع المدنى فى معناه الضيق ، ونعنى عالم التبادل السلعى والعمل الاجتماعى.فى حين أن مجال السلطة العامة يتعلق بالدولة ، أو مجال الشرطة والطبقة الحاكمة.

والمجال العام يعبر كلا من المجال الخاص و السطلة العامة من خلال آلية الرأى العام الذى يجعل الدولة بصيرة بحاجات المجتمع. وهو بهذه الصورة يتميز عن الدولة، لأنه مجال لإنتاج الخطابات التى يمكن - من ناحية المبدأ – أن تكون ناقدة للدولة . وهو أيضا يتميز عن الاقتصاد الرسمى لأنه ليس مجالا لعلاقات السوق ولكنه مجال للعلاقات الخطابية والعلاقات بين خطابات مختلفة إيديولوجيا هو مسرح للجدل والنقاش وليس مجال للبيع والشراء (53) .

عملية الاتصال بين الفرد والمجتمع :

يثير جوناثان كللر في كتابه "فرديناند دي سوسير"نقطة مهمة حول العلاقة القائمة بين الأفراد والمجتمع .

بالنسبة إلى البشر فالمجتمع هو الحقيقة الأساسية ليس مجموع الأنشطة الفردية وليس المظاهر / التجليات الطارئة في العقل وإذا كان أحد يرغب في دراسة السلوك البشري ، فعليه أن يعترف بالواقع الاجتماعي باختصار يكون علم الاجتماع وعلم اللغويات (اللسانيات) وعلم التحليل النفسي أمرا ممكنا فقط ، عندما يأخذ المرء المعاني ذات العلاقة والتي تفرق بين الأشياء والأفعال في المجتمع كواقع أساسي وكحقائق يمكن تفسيرها ،

وبما أن المعاني منتج اجتماعي فيجب أن تفسر بمصطلحات اجتماعية، كما لو أن سوسير وفرويد ودور كايم سألوا " ما الذي يجعل تجربة الفرد ممكنة ؟ ما الذي يمكن الرجال والنساء من العمل في أشياء وأفعال ذات مغزى ؟ وما الذي يمكنهممن التواصل والعمل بصورة ذات معنى ؟ " وكان جوابهم المفترض هو المؤسسات الاجتماعية التي هى ظروف الخبرة على الرغم من أنها تتشكل من الأنشطة البشرية، لفهم التجربة الشخصية علينا دراسة المعايير الاجتماعية التي تجعلها ممكنة .

وهكذا فإن (سوسير وفرويد ، ودور كايم) عكسوا المنظور الذي يجعل المجتمع نتيجة للسلوك الفردي ، وأصروا على أن السلوك يصبح ممكنا بموجب الأنظمة الاجتماعية الجماعية ، التي استوعبها الأفراد بوعي أو من دون وعي (54) .

يثير (كللر) نقطة مهمة لكي تكون الإشارات ذات مغزى يجب أن يكون هناك مجتمع يعلم الناس بطريقة أو بأخرى كيفية تفسير هذه الإشارات إن معاني الإشارات ليست طبيعية بل يحددها المجتمع

ويدفع (كللر) أن التصرفات الشخصية هى نتيجة وجود شئنحن ندعوه المجتمع والأفراد ليسوا هم الذين يصنعون المجتمع .

ولعل ما يحاجج البعض حقا هو أن المجتمع قد يكون موجودا ولكن لاصلة له بالموضوع لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن معظمنا يقضي تسع ساعات يوميا مع وسائل الإعلام ، مما يتطلب من جميع أنواع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ووسائل الإعلام إعداد ونشر نصوصها فإن الحجة تبدو جوفاء إلى حد ما ، ومن المهم أن نبقي على هذه النظرة في اعتبارنا بأننا جميعا كما يقول (دوركايم) : مخلوقات مزدوجة وأننا في المجتمع والمجتمع فينا حين نتحرى وسائل الإعلام ودورها في المجتمع ،لأن الشئ نفسه ينطبق على ذلك. وسائل الإعلام موجودة في المجتمع والمجتمع موجود بطرق مختلفة ومهمة في وسائل الإعلام (55) .

الإعلام وتباين القيم بين الايجابية والسلبية:

التليفزيون مهووس بمجموعة ضيقة نسبيا من الموضوعات: العنف والجنس والاستهلاك والشباب والشهرة ، وعدد آخر قليل من المواضيع ، إذا ما حكمنا عليها من زاوية العدد الكبير من الموضوعات المتعلقة بالحالة الإنسانية ، التي يمكن أن يتعامل التليفزيون معها

فالجماهير تختار وفق ما هو متاح لها من برامج حيث يؤدي ذلك إلى تضاؤل حاسة الاحتمالية لدى المشاهدين وضيق لما يعنيه مفهوم أن يكون المرء إنسانا ، ويمكن القول إن التليفزيون لا يعطي للناس ما يريدون ولكن يعلمهم أن يريدوا ما يحصلون عليه .

الدفع باتجاه السلبية :

مشاهدة التليفزيون عموما هى تجربة سلبية، يجلس الشخص ويشاهد النشاط البدني الوحيد المعني هنا هو الضغط على زر لذلك فإن مشاهدة التليفزيون لها بعض التأثيرات الفسيولوجية والنفسية لدى الجماهير، وهذه التغييرات الفسيولوجية لها تداعيات اجتماعية فالجلوس طويلا أمام التليفزيون قد يسبب العديد من المشاكل الطبية .

الخصوصية والبعد عن المجال العام: مشاهدة التليفزيون تؤدي إلى الخصوصية والمشاهدون يتعلمون على حياتهم الخاصة الاهتمامات الشخصية ، وبصفة خاصة إهمال المسائل الاجتماعية والمجال العام .

الميل إلى العاطفية : كثيرا ما انتقدت الدراما التلفزيونية بأنها عاطفية بإفراط وذلك لنهاياتها السعيدة عموما ، أو لأنها تثير عاطفة أكثر مما ينبغي في أنواع مختلفة من السرد ، وثمة من يقول : إن التليفزيون يميل إلى إهمال الأبعاد المأسوية في حياة البشر ، وغسل كل شئ بشئ من التفاؤل ورؤية كل شئ من خلال نظارة وردية.

الاستغلال الجنسي : الأدوار التي تمنح للمرأة في الدراما التلفزينية والطريقة التي تصور بها في الإعلانات التليفزيونية ، وغيرها من النصوص تستغل الجاذبية الجنسية للمراة ، وتستخدمها في الإثارة الجنسية وبيع المنتجات ، على الرغم من الأصوات التي تعالت من الحد من هذا الاستغلال لجسد المراة ، فصورة المرأة ليست واقعية في وسائل الإعلام ، وقد يكون كثير من الإثارة غير المباشرة متاحة على شاشة التليفزيون ، حيث يتراجع اهتمام المشاهدين بالنشاط الجنسي أو أن التخيلات المثيرة التي تم توليدها بوساطة التليفزيون تهيمن على تفكيرهم ، مما يؤدي إلى المشاعر السلبية .

بحث الفنانين المبدعين الجادين عن الدخل الأفضل :

لأن التليفزيون يدفع مرتبات خالية فهو يغري العديد من الكتاب الجادين والمخرجين وفناني الأداء للعمل من أجله ، وتحولهم من المسرح وغيره من أشكال فن النخبة ، ومن ثم حرمان الجماهير من مساهمتهم في هذا النوع من الفن، وهذا ينطبق بصفة خاصة على صناعة السينما ونتيجة للإغراءات المالية المقدمة من وسائل الإعلام فإنه يصعب على كبار الفنانين الجادين مقاومتها مما يعني إنتاج عدد أقل من الأعمال المسرحية والأدبية الجادة .

الهروب إلى البرامج الترفيهية : يوفر التليفزيون ملاذا للتهرب من خلال : كوميديات المواقف الهزلية ، وبرامج العنف والمغامرة وأنواعا مماثلة من المواد قليلة القيمة الاجتماعية أو الجمالية ، لأن هذه البرامج سطحية ولا تتناول قضايا جادة أو خطيرة، ويمكن للناس أن يستهلكوا كميات هائلة من هذه المواد وحتى البرامج الإخبارية ،طغت عليها الحاجة إلى الترفيه وقد أشار نقاد وسائل الإعلام إلى أنه في الوقت الحاضر هناك عدد قليل نسبيا من الوثائقيات التلفزيونية التي تتناول القضايا الجادة مقارنة مع عشرين أو ثلاثين سنة خلت .زيادة النشاط المفرط : نتيجة للوابل السريع من الصور وهذا النوع من الإشباع الفوري ، الذي يوفره التليفزيون

هناك ما يدعو إلى الشك في أن مشاهدة التليفزيون تسهم في السلوك المفرط لدى العديد من الأطفال، الذين يشاهدون التلفزيون اعتادوا الترفيه الذي لا ينتهي ولا يطورون قدرتهم على أن يكونوا هادئين في الفصول الدراسية وأن يركزوا على دراستهم . قد يكون الارتفاع المذهل في عدد الأطفال والكبار الآن المصابين باضطراب نقص الانتباه(ADD) أو نقص الانتباه للنشاط المفرط (ADHD) مرتبطا بمستويات عالية من مشاهدة التلفزيون والتعرض لوسائل الإعلام (56) .

القول بأن الناس الذين يقررون ما يعرض على شاشة التليفزيون هم غير مسؤولين وأكثر اهتماما بالربح من الاهتمام بما يعود النفع على المشاهدين ، يثير قلقا أخلاقيا موجات الأثير مملوكة للجمهورومن حيث المبدأ ينبغي أن يعمل التليفزيون .

وكذلك الإذاعة من أجل تعزيز المصلحة العامة وبدلاً من ذلكفي مسعى جنوني للتقديرات / التصنيفات يبث منتجو التلفزيون قدرا كبيرا من البرامج التافهة التي تلاقي استحساناً على نطاق واسع ولكنها قد تكون ضارة على سبيل المثال :

العديدمن الإعلانات التجارية عن بعض المشروبات موجهة تجاه مشاعر المراهقين ، ويتم عرضهافي البرامج التي يميل المراهقون إلى مشاهدتها قد يؤدي إلى نوع   من الإدمان في الشرب .

اللجوء إلى العزلة : على الرغم من أن التليفزيون يخلق جمهوراً كبيرا من المشاهدين فإن معظم الناس الذين يشاهدون البرامج التلفزيونية في أي وقت تقريبا هم معزلون في مجموعات أسرية صغيرة وبوحي ذلك التلفزيون يؤدي إلى زيادة العزلة وينتج عنه أن الناس يفصلون أنفسهم عن الآخرين ، حتى في بعض الأحيان عن أفراد في أسرهم .

تجنب القضايا المهمة: يستهدف التليفزيون القاسم المشترك الأصغر، وهذا يعني أن التليفزيون يقلل من أهمية الأشياء ويبسط الأمور كثيرا ويتجنب القضايا المهمة في محاولة لإرضاء أكبر قدر من الناس .

من الناحية النظرية كلما انحدرت جذبت مزيدا من الناس . مما يعني أن هناك قوى تعمل على إعداد البرامج التي أقل ما يمكن وصفها بأنها تافهة .

التلاعب بالمشاهدين : من المؤكد أن التليفزيون يتلاعب بمشاهديه باستخدام الفكاهة والجنس وأي شيء آخر، يمكنه جذب الجمهور ومن خلال الإعلانات التليفزيونية التجارية ، لدفع الناس إلى شراء المنتجات والخدمات التي تعلنها . وبالإضافة إلى ذلك ولأن التليفزيون يعرض فقط بعض وجهات النظر للأحداث الإخبارية فهو أيضا يتلاعب بالرأي العام .

ويقول الناس إن الرؤية هي التصديق من دون التفكير في أنه عندما يشاهدون التليفزيون فإن شخصا آخر يحدد دائما ما يرونه وأن من يرونه قد يكون منزوعا من سياقه أو وفق المصطلح العلمي خارج السياق (57) .

وسائل الإعلام وتأثيراتها :

التأثيرات المقصودة :

تأثير الإعلانات التجارية في سلوك الشراء .

أثر الحملات الإعلامية السياسية في التصويت

فاعلية إعلانات الخدمة العامة في تعزيز السلوك النافع .

دور الحملات المتعددة الوسائل طويلة الأمد في تغيير أنماط الحياة .

تأثيرات التلقين المتجانس في الأيديولوجية .

تأثيرات عرض وسائل الإعلام الجماهيرية للطقوس المحافظة على السيطرة الاجتماعية.

التاثيرات غير المقصودة لوسائل الإعلام :

تأثير العنف في العدوانية المعادية للمجتمع لدى المشاهدين .

تقديم وسائل الإعلام كأحد محددات الرؤية الاجتماعية .

عرض منحاز لوسائل الإعلام كمؤثر في الصورة النمطيةالعامة للجماعات .

تأثير المواد الشهوانبة على السلوكيات الجنسية المرفوضة .

أساليب العرض في وسائل الإعلام التي تؤثر في الأنماط

المعرفية أثر إدخال وسائل الإعلام الجديدة في عمليات الفكر العام (58) .

العالم الرقمى :

أول شئ يجب أن يتبادر إلى أذهاننا هو أن تكنولوجيا وسائل الإعلام الجديدة تنطوي على استبدال التكنولوجيات التناظرية بأخرى رقمية، وبالنظر إلى الساعات التي كان الناس يلبسونها كان لها عقرب ثوان يتحرك حول المينا بمرور الثواني

وكان لها عقرب للساعات هذه الساعات كانت ساعات تناظرية ، تستند إلى فكرة أن الأشياء متصلة بعضها ببعض وأن الوقت مستمر وأننا نعيش في عالم مملوء بدرجات متفاوتة من الاختلاف كلمة تناظري(analog) مأخوذة من الكلمة الإغريقية (analogy) ، والتي تعني : تشبه شيئا أو مثل شئ .

في العالم الرقمي في المقابل كل شئ مفصل ومع الساعات الرقمية اليدوية والكبيرة يصبح الوقت سلسلة لحظات منفصلة ومستقلة يخلف بعضها بعضا ولكن لايظهر أن أي لحظة من الوقت لها علاقة بأي واحدة أخرى .

مع الساعة التناظرية يمكنك إلقاء نظرة إلى ساعتك والقول إنها الخامسة إلا ربع ولكن في الساعة الرقمية يمكنك الحصول على قراءة تقول:في الواقع الساعة الآن الرابعة وخمس وأربعون دقيقة بعد الظهر.

مصطلح الرقمي :

الأنظمة الرقمية لاتستخدم العلاقات التمثيلية المتغيرة باستمرار بدلا من ذلك فإنها تترجم جميع المدخلات إلى تراكيب ثنائية من الأصفار والآحاد ، التي يمكن بعد ذلك تخزينها أو نقلها أو استخدامها على مستوى أرقام أو خانات رقمية، (تسمى كذلك لأن الكلمة من الناحية الاشتقاقية تنحدر من الأرقام التي لدينا والتي نستخدمها في عد تلك الأعداد) .

وهكذا سوف يتم ترميز مكالمة هاتفية على نظام رقمي كسلسلة هذه الأصفار والآحاد وإرسالها عبر الأسلاك كمعلومات ثنائية ، ليعاد تفسيرها ككلام على الطرف الآخر إنها قدرة الكمبيوتر الإلكترونية لترميز مجموعة واسعة من المعلومات رقميا ، هي ما أعطتها تلك المكانة المحورية في الثقافة المعاصرة ، وبما أن جميع أشكال الأنظمة التمثيلية تتمثل في إعادة صياغة المعلومات الرقمية ، فإنه يمكن تخزينها كلها والرجوع إليها والسيطرة عليها بالمعدات نفسها (59) .

الأخلاق و وسائل الإعلام :

الأخلاق ذلك الفرع من الفلسفة الذي له علاقة بما يمكن وصفه بالسلوك الصحيـح . هناك العديد من الآراء الفلسفية المختلفة التي وضعت إزاء ما هو سلوك أخلاقي ، وما هو ليس كذلك وما هي الأخلاقيات التي ينبغي التعامل معها . عندما نأتي إلى وسائل الإعلام هناك كثير من المخاوف المختلفة التي لها علاقة بالأخلاق .

فالصحافيون مثلا يعملون في إطار ميثاق أخلاقي يتطلب منهم أن يقدموا الخبر بأمانة ودقة

ومعنى ذلك ألا يضعوا تفسيرهم أو تأويلهم الخاص حول ما يغطونه ، وقد اقترح بعض النقاد أن جميع الأخبار تشمل على التفسير حتى عندما يرغب الصحافيون في أن يكونوا دقيقين .

كما يتوقع الصحافيون أن يتفادوا مجرد ظهور أي تضارب في المصالح ، على سبيل المثال : لايجب على الصحفي الذي يغطي سوق الأوراق المالية لصحيفة أن يكتب مقالاً يمدح شركة له استثمار فيها .

كما بعض الحكومات تدفع لعدد من الصحفيين وبالتالي لم يكونوا موضوعيين عندما كتبوا تقاريرهم عن مواضييع معينة وقد أصبحوا في واقع الأمر موظفي علاقات عامة ولم يكونوا أمناء مع الجماهير ومع زملائهم .

يمكن أن يواجه الصحفيون مشكلة مختلفة عند الإبلاغ عن الأحداث ، التي تلقي ضوء سلبيا على معلن كبير مع الصحيفة أو محطة التليفزيون التي يعملون لديها . وكثيرا ما يواجه هذه المشكلة المحررون الذين يتعين عليهم أن يعرضوا قصة يعرفونهاعن أحد المعلنين المهمين الذي لايريد منهم عرضها .

بعض المحررين يتعاملون مع قصص سلبية حول هؤلاء المعلنين وذلك بدقتها في الصفحات الخلفية من صحفهم أو في البرامج الإخبارية التي يذكرونها بشكل عابر فقط .

يواجه الصحفيون معضلات أخلاقية أخرى في كثير من الأحيان وقد رفض أولئك الذين يحصلون على معلومات عن قضية ما وقد سبب لهم ذلك بعض المتاعب في حياتهم الصحفية وقد تولد المسائل العقائدية والمالية للصحفين مشاكل أخلاقية .

محررو الأخبار في الصحف ومحطات التلفزيون عليهم أن يقرروا ما القصص التي سوف يبثونها من بين جميع القصص التي يمكن بثـهـا

هل تكون قصة عن جريمة انتحارية أكثر أهمية من كلمة ألقاها نائب في البرلمان ماذا ينبغي أن تقدم الكلمة في كثير من الحالات قد تكون المسائل الأيديولوجية أكثر أهمية ، حتى من المسائل المالية .

تلون الشراكة السياسية القصص التي تبث والمنظور الذي يأخذه المراسل . وعموماً تمتلك الشراكات العملاقة اليوم الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون وهذه لديها أجندات سياسية خاصة .

- من تأثيــرات الثورة الإعــلامية :

- تمضي العلاقة بين الإعلام والديموقراطية حيث التكامل بين المؤسسات الإعلامية من جهة، والمؤسسات السياسية والمدنية من جهة ثانية ، فالديموقراطية هي المرتع الخصب لتطور الإعلام وتفعيل إنجازه كما وكيفا ، غير أن الإعلام هو الآخر ومنذ طرح "ماكلوهان "المشروع العالمي الذي سيتحول إلى قرية كونية بفضل الإعلام والاتصال ، يطور االديموقراطية ويغني صيرورتها خاصة حين يؤكد ذاته كسلطة رابعة.

- تنشيط المثقف لخطابه النقدي إزاء ثورة المعلومات المنفتحة راهناً ومستقبلاً على ممكنات "مجهولة وغير متوقعة" تقلص من تأثير الأدوار الكلاسيكية للمثقف عبر إزاحة التليفزيون للكتاب .

- الانشطار في النظر إلى نتائج ثورة الإعلام والاتصال من منظورين مختلفين بل ومتناقضين :

- منظور متفائل يبث بقيمه منجزات ثورة الإعلام والاتصالات.

- منظور متشائم يفضح الآثار السلبية ويكشف عما تحدثه قنوات الاتصال الحديثة من لاتواصل ثقافي وأخلاقي ، كما يبن استمرار اللاتكافؤ بين الفئات الاجتماعية من جهة وشمال الكرة الأرضية وجنوبها ، من جهة أخرى في تمثل مكتسبات تلك الثورة .

معاناة الإعلام العربي ضعفا في الاستثمار المادي وانكماشه في الأداء المهني .

ومن ثم فإنه يجب بناء صورة سمعية – بصرية خاصة بالذات العربية ، صورة تقوض الصور المشوهة التي نسجها الإعلام الغربي حول العرب والإسلام في المتخيل الجماعي .

الإعلام والإتصال :

الإنسان كما قيل حيوان اتصالي ولا تقوم للمجتمع الإنساني قائمة دون نظام للاتصال، الذي اعتبره البعض من شروط بناء الكائن البشري (60) .

وتاريخ البشرية من عصور نقوش الأحجار إلى بث الأقمار يمكن رصده متوازيا مع تطور وسائل الاتصال ، التي تربط بين الأفراد والجماعات ويشهد التاريخ أن الاتصال كن دوما وراء كل صراع ووفاق.

الإعـــلام محور أساسي في المجتمــع :

لقد ظن البعض خطأ أن إعلام المعلومات في سياق العولمة ما هو إلا مجرد طغيان الوسيط الإلكتروني على باقي وسائل الاتصال الأخرى، لكنه في واقع الأمر أخطر من ذلك بكثير فالأهم هو طبيعة الرسائل التي تتدفق من خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد، وسرعة تدفقها وطرق توزيعها واستقبالها (61) .

لقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية في دور الإعلام جعلت منه محورا أساسيا في منظومة المجتمع ، فهو اليوم محور اقتصاد وشرط أساسي لتنمية الصغار ، ومما يؤكد محورية الإعلام في حياتنا المعاصرة ذلك الاهتمام الشديد الذي تحظى به قضاياه في الفكر الفلسفي والتنظير الثقافي المعاصر، محافظا كان أو ثوريا حداثيا كان أو ما بعد حداثي رأسماليا كان أم ذا توجه ماركسي .

لقد ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافة حتى جاز للبعض أن يطلق عليها ثقافة الميديا ، وثقافة التكنولوجيا وثقافة الوسائط المتعددة .

العوامل الرئيسية لثورة الإعلام الاتصال :

وراء ثورة الإعلام والاتصال عوامل تقنية واقتصادية وسياسية يمكن تلخيصها فيما يلي :-

العامل التقني : المتمثل في التقدم الهائل في نكنولوجيا الكمبيوتر عتاده وبرمجياته وتكنولوجيا الاتصالات خاصة فيم يتعلق بالأقمار الصناعية وشبكات الألياف الضوئية. لقد اندمجت هذه العناصر التكنولوجية في توليفات اتصالية عدة إلى أن أفرزت شبكة الإنترنت التي تشكلت حاليا لكي تصبح وسيطا إعلاميا ، يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الأخرى: المطبوعة والمسموعة والمرئية وكذلك الجماهيرية وشبه الجماهيرية والشخصية . لقد انعكس تأثير هذه التطورات التكنولوجية على جميع قنوات الإعلام صحافة وإذاعة وتلفاز وانعكس كذلك وهو الأخطر على طبيعة العلاقات التي تربط بين منتج الرسالة الإعلامية وموزعها ومتلقيها . لقد انكمش العالم مكانا وزمانا وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب ، وكادت تكنولوجيا الخائلي أن تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي وبين الحاضر والغائب وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات .

العامل الاقتصادي المتمثل في عولمة الاقتصاد : وما يتطلبه من إسراع حركة السلع ورؤوس الأموال

وهو ما يتطلب بدوره الإسراع في تدفق المعلومات ، وليس هذا لمجرد كون المعلومات قاسما مشتركا يدعم جميع الأنشطة الاقتصادية دون استثناء بل لكونها أي المعلومات سلعة اقتصادية في حد ذاتها ، تتنامى أهميتها يوما عن يوم وبقول آخرإن عولمة نظم الإعلام والاتصال هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولمة الأسواق من جانب وتنمية النزعات الاستهلاكية ووسيلة توزيع سلع صناعة الثقافة من موسيقى وأفلام وألعاب وبرامج تليفزيونية من جانب آخر .

العامل السياسي : المتمثل في الدورالمتزايد لوسائل الإعلام من قبل القوى السياسية بهدف إحكام قبضتها على سير الأمور ، والمحافظة على استقرار موازين القوى . فى عالم شديد الاضطراب ، زاخر بالصراعات والتناقضات .

لقد تداخلت هذه العوامل التقنية والاقتصادية والسياسية بصورة غير مسبوقة . جاعلة من الإعلام الحديث قضية شائكة للغاية . وساحة ساخنة للصراعات العالمية والإقليمية والمحلية.

تناقضات الإعلام الحديث :

الإعلام الحديث ،كغيره من أمور العصر، بات فى مفترق الطرق فعلى الرغم من ثرائه التقني وأهميته السياسية والاقتصادية والثقافية مازال تنظيره تائها بين علوم الإنسانيات ونظريات المعلومات والاتصالات ، وعلى ما يبدو فإن معظم فروع الثقافة : لغة وتربية وإعلاماً وإبداعاً ، محكوم عليها بأن تحمل فى جوفها تناقضاً جوهرياً من نوع ما . فكان تناقض اللغة فى ثنائية شفافيتها وعتمتها ، وكان تناقض التربية فى تنازعها بين الوفاء بمطالب استقرار مجتمعها ومطالب تغييره معا .

أما الإعلام فيكمن تناقضه فى حيرته بين رسالة الإعلام وهوى الإعلان ، وبين مراعاة مصالح الحكام والحرص على مصلحة المحكومين وما بين غايات التنمية الاجتماعية ومطامع القوى الاقتصاديةالتى تعطي الأولوية للإعلام الترفيهي لا التنموي . وهل هناك تناقض أكثر حدة وسخرية بين ما يدعيه الإعلام من كونه أداه للترفيه والترويح عن النفس ، وما يثيره من "عنف ترفيهي" و"فزع معنوي"؟ وبينما ينتظر منه أن يكون وسيلة للترابط الاجتماعي والوفاق العالمي ، نجده وقد استخدم من أجل إشاعة التعصب والعصبية ، والتفرقة الطبقية والعنصرية ، وتنمية نزعات الكره تجاه الآخرين؛ أجانب كانوا أو أصحاب فكر متناقضين .

ولم تكن مظاهر هذا التناقض الجوهري في صلب منظومة الإعلام أكثر وضوحا مما هي عليه الآن ، في ضوء متغيرات عصر المعلومات . وكما هي الحال على جبهتي اللغة والتربية ، فقد بات الإعلام - هو الآخر- فى أمس الحاجة إلى رؤية جديدة ومغايرة فالمنظومة الإعلامية بصورتها الحالية تعد مثالاً صارخاً لإساءة استخدام التكنولوجيا ويكفي دليلا علي ذلك ، تلك الهوة الفاصلة بين غايات الإعلام وواقعه وبين زيف أقنعته وحقيقة دوافعه .

الصدمة الإعلامية العربية :

يعيش الإعلام العربي صدمة إعلامية على مختلف المستويات السياسية والتنظيمية والفنية فليس بالأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وأحدث المطابع الصحفية وحدها يحيا الإعلام والاتصال في عصر المعلومات، وعلينا أن نقر بأننا لم نرصد بعد مسارات الخريطة الجيو - إعلامية الحديثة حيث ضعف الاستجابة إلى عولمة الإعلام (62)

لقد فقد إعلامنا العربي محوره ، وأضحى مكبلا بقيود سوق إعلامية إعلانية محدودة، وكان نتيجة ذلك أن أصبح رهين الإعلان من جانب ، وذليل الدعم الحكومي من جانب آخر.

إن إعلامنا العربي يواجه عصر التكتلات الإعلامية مشتتا عازفا عن المشاركة في الموارد ، يعاني من ضمور الإنتاج وشح الإبداع حتى كاد وهو المرسل بطبيعته أن يصبح نفسه مستقبلا للإعلام المستورد ليعيد بثه إلى جماهيره ، وأوشكت وكالات الأنباء لدينا أن تصبح وكالات للوكالات الكبرى الأخرى ، حتى فيما يخص أخبارنا المحلية . لقد ارتضينا أن نوكل إلى غيرنا نقل صورة العالم من حولنا بل صنع صورتنا عن ذاتنا أيضا أما شبكة الإنترنت فلم ندرك بعد مغزاها الثقافي لكي يمكننا إدراك مغزاها الاتصالي الإعلامي .

لقد وقعنا في فخ شباك الإعلام والاتصال، شبكة الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت وشبكة التكتلات الإعلامية المتعددة الجنسيات ولا يمكن للمرء أن ينكر بعض المحاولات الناجحة لتطوير الإعلام العربي في مجالات الصحافة والإذاعة والتليفزيون إلا أن هذه المحاولات تظل دون الحد الأدنى المطلوب.

غياب التنظير الإعلامي على الرغم من إدراك الكثيرين بيننا لأهمية الإعلام ، ودوره التنموي ، إلا أن هناك شبه غياب تنظيري للقضايا التي يطرحها إعلام عصر العولمة والمعلومات وانعكاساتهعلى تضاريس واقعنا العربي ، فخطابنا الإعلامي الرسمي يسوده طابع غير محدد ويخلط عادة ما بين الغايات والسياسات والإجراءات .

التناقض الجوهري في الإعلام العربي :

يشكو إعلامنا من تناقض جوهري ، بعد أن تخلى عن مهمته التنموية الأساسية ، ليسوده طابع الترفيه والإعلام على حساب المهام الأخرى ، ويقصد بها مهام التعليم والتوعية الثقافية وإعادة إحياء الإرادة الجماعية للمشاركة في العمل الجماعي .
ومن قبيل الإنصاف فإن إعلامنا شأنه في ذلك شأن نظم الإعلام في دول العالم الثالث يعمل تحت ضغوط سياسية واقتصادية تنأى به عن غاياته التنموية البعيدة المدى ، ويكمن التحدي في أن التوجهات الإعلامية الراهنة تعمل على زيادة الضغوط مما يتطلب سياسية إعلامية أكثر صموداً ومرونةً وابتكاراً (63) .

* الإعلام والثقافة :

علاقة الإعلام بالثقافة هي في جوهرها علاقة النوع بالكم . إلا أنهما كثيراً ما يتداخلان إلى التطابق ، حيث التداخل الشديد بين السياسات الإعلامية والسياسات الثقافية ، وجاءت شبكة الإنترنت لتؤجج لهيب العلاقة بين الإعلام والثقافة ، فهي تجمع ما كونها وسيطاً إعلامياً وكونها ساحة لنقل بضاعة الثقافة من مناطق إنتاجها إلى مناطق استهلاكها .

والإعلام في معظم البلدان العربية هو طفل السلطة المدلل ، في حين تظل علاقة هذه السلطة بالثقافة أقل ما يقال عنها أنها من الأمور الثانوية ، وإعلام ما بعد الإنترنت تتطلب من طرح قضايا إعلامية في سياقها الاجتماعي الأشمل(64) .

* فضاء الإنترنت :

بالرغم من أن المجتمعات العربية بشكل عام تعاني فكرة الرقابة كواحدة من التناقضات ، التي تتعارض مع مفاهيم حرية التعبيرالمنصوص عليها في الدساتير العربية فإن فكرة الرقابة على الإنترنت تأخذ شكلا أكثرتناقضاً ، على اعتبار أن فكرة شبكة الإنترنت في جوهرها هي فكرة إتاحة المعلومات والاتصال بين البشر في أرجاء العالم ،

بعيداً عن حدود الجغرافيا والزمن بالإضافة إلى أن قدرة المتخصصين في تكنولوجيا الاتصالات لديهم الكثيرمن البرامج التي يمكن بها الحظر المفروض على أي موقع، مما يجعل السؤال الأجدى بالطرح والأكثر واقعية هــــــو :

هل هناك بالفعل جدوى من الرقابة في عصر الفضاءات المفتوحة وشبكة الإنترنت وفي زمن يتقدم فيه البشر في تحقيق طفرات في الخروج لفضاءات جديدة في الكون الانهائي في محاولة مستمرة ودءوبة لكشف ما يحدث في المجرة التي يعد كوكبنا بالنسبة إليها مجرد نقطة صغيرة جدًا في محيط من التيه اللانهائي ؟

إن أحدا لايستطيع أن يمنع الإنسان من الوصول إلى الثقافة التي يبحث عنها في زمن صارت فيه وسائل الإعلام داخل كل غرفة في كل منزل بشكل متنوع ومتعدد .

هل تقوم ثقافة كوكبية موحدة؟

قد يكون من الصعب التنبؤ فى الوقت الحالى عن الثقافة فى أى مجتمع ، وذلك بعكس ما كان الوضع حتى عهد غير بعيد ، وذلك نظرا لسرعة التغيرات وكثافة الاتصالات بين الشعوب والثقافات وازدياد عمليات الاستعارة الثقافية والتأثير الثقافى المتبادل .بفضل انتشار وقوة وفاعلية الإعلام الحديث وتنوع وسائله وأساليبه ،

وقدرته على التسلل إلى أعماق الأذهان وازدياد حجم الحراك السكانى والبشرى عبر الحدود الجغرافية والسياسية. فالمستقبل الثقافى الآن على مستوى كوكب الأرض يكاد يكون منعدم الصلة بالحاضر الثقافى فضلا عن الماضى بل إن ثمة نوعا من اللايقين حول مستقبل الثقافة وما سوف تتمخض عنه تللك التغيرات والعلاقات والتحركات المستجدة التى سوف تؤثر بشكل قوى فى نوعية الثقافة سواء على المستوى المحلى أم العالمى. وهذا اللايقين يثير شكوك الكثيرين حول إمكان وضع سياسة ثقافية يمكن الالتزام بها حرفيا مدة طويلة ، وأن الوضع المستقبلى للثقافة لن يخرج عن أحد احتمـــالات ثلاثــــــة : إما أن تمر الثقافة بوجه عام بحالة من الاضطرابات والفوضى نتيجة عم وضوح الرؤية إزاء التداخلات الثقافية وإما أن تتصادم تقاليد الماضى مع مستجدات الحاضر والمستقبل ، بحيث يصعب التوفيق بينهما ويكون هناك فصل أو انقطاع فى المتصل الثقافى على المستويين المحلى و العالمى. وإما أن تتصارع الحضارات بكل ما قد يترتب على ذلك الصراع من حروب ثقافية تحمل فى طياتها كثير من النتائج السلبية ، التى سوف تنعكس بالضرورة على طبيعة العلاقات بين شعوب العالم .

وقد تكون هذه كلها احتمالات صادرة عن نظرة تشاؤمية منبثقة من عدم الثقة فى طبيعة الإنسان نفسه وقدرته على التسامح مع الآخرين.

ولكن المؤكد هو أنه ليس من الواضح تماماً ما سوف تكون عليه ثقافة الغد على الرغم من كثرة الحديث حول الموضوع/ المشكلة ووجود كثير من الحركات والجماعات التي تعمل من أجل التوصل إلى تصور متكامل حول مستقبل ثقافي جديد ، متمايز وله خصائصه ومقوماته ومفرداته وتصوراته عن العالم وعن الذات وعن الآخرين . وذلك في ضوء الثورة الإعلامية في سياق العولمة وليس من الضروري أن تكون هذه الحركات المختلفة حبيسة الماضي أو خاضعة للحاضر ولكنها تهتمفي المحل الأول بالتوصل إلى صيغ جديدة للخطاب السياسي الاجتماعي والثقافي ، والبحث عن أنماط جديدةمن القيم تساعد على إقرار التوازن بين مكونات الحياة الاجتماعية على مستوى العالم ، واحترام الخصوصية الفردية في كل مناشط الحياة .

دورالفضائيات في نشرثقافة الاستهلاك :

الثقافة الاستهلاكية ظاهرة عالمية ،لاتقتصر على مجتمع بعينه أوفئة بعينها من الناس، ولكنها بفضل الفضائيات وما تبثه من إعلانات تتواصل فى إلحاح ، جعلت من الاستهلاك ظاهرة عامة بين معظم الطبقات ، عادة ما توصف المجتمعات الرأسمالية المعاصرة على أنها مجتمعات استهلاكية . فقد تحولت هذه المجتمعاتإلى الاستهلاك بعد أن نجحت فى تحقيق طفرة فى الإنتاج فازداد حجم المعروض من السلع وتحول الإنتاج إلى هدف في حد ذاته الأمرالذى أدى إلى تكدس للسلع ، ووفرة فى أنواعها . وفى إطار هذه العملية أصبحت الدعوة إلى الاستهلاك جزءاً من العملية الإنتاجية . وانتشر الميل إلى الاستهلاك ، وشملت المظاهر الاستهلاكية كل شئ ، وأصبحت تسيطر على كل تصرفات الأفراد وسلوكهم تجاه السلع وطرق إشباع رغباتهم منها ، واندمج الإنسان فى هذا المجتمع الجديد إلى درجة أنه لقب بالإنسان المستهلك . وتتميز النظرة السوسيولوجية بأنها تنظر للاستهلاك نظرة بنائية شاملة في ضوء التطورات التى خضع – ويخضع لها – المجتمع فإذا كان الاستهلاك قد أصبح قاسما مشتركا بين المجتمعات والأفراد ، واذا كانت ثمة نزعة استهلاكية تتسرب إلى نفوس الأفراد ، وسلوكياتهم الشرائية ، فإن ذلك أدى إلى ظروف بنائية تارخية ، ترتبط بتطور النظام الرأسمالي وتطور نظم الإنتاج والثقافة داخله .

واذا كان هناك تأثير لثقافة الاستهلاك ، فإنه أوضح ما يكون على الأفراد وقد ذهب "كريستوفر لاش c. lash "إلى أن اقتصاد السوق – القائم على الاستهلاك الجماهيري – قد أدى إلى ظهور نمط الذات المعتمدة أوالموجهة بالآخرين otheroriented ، ولا تعتمد فى تقدير نفسها على محددات داخلية ، بقدر ما تعتمد على أحكام الآخرين ، وقبولهم لها ، وهكذا تحولت إلى ذات خاضعة لا تملك من أمر نفسها شيئا .

سمات الثقافة الاستهلاكية :

توصف الثقافة الاستهلاكية بأنها مادية ، فهى تستهدف استهلاك السلع المادية . لكن الثقافة الاستهلاكية شهدت تغيرات كثيرة تمثلت فى نمو الإنتاج السلعى الكبير ، وإقامة أسواق جديدة للسلع الاستهلاكية ، وظهور أنماط جديدة للتسوق shopping وليس الشراء فقط buying ، وأصبحت هناك المحلات الضخمة ذات الطوابق المتعددة ، والأقسام الكثيرة ، كما أصبحت "المولات Malls" الجديدة لاتقتصر فقط على البيع والشراء ، بل تجاوز ذلك إلى متع أخرى يجد مراده فيها الكبير والصغير ، والشاب ، مثل دور السينما والكافيهات ومركز ألعاب الأطفال ،وأحيانا مراكز صحية ،وخدمات بنكية وسياحية .لا ترتبط الثقافة الاستهلاكية بالنواحى المادية فقط ،

وإنما تتمثل فى جوانب معنوية ، تعد أهم جوانب الثقافة الاستهلاكية على الإطلاق، وتتعلق باستهلاك المعاني والخبرات والصور للثقافة الاستهلاكية و خاصية إضفاء الطابع الأنيق المتميز stylish على السلع والمنتجات ، يحيث يكون للمنتج أسلوب متميز يعبر عن تفرد صاحبها وغالبا ما تعبر الثقافة الاستهلاكية عن ذلك بربط السلع والمنتجات بشخصيات معينة مثل نجوم السينما ، أو الشخصات العامة الناجحة في ذات الأسلوب المميز .

تتسم الثقافة الاستهلاكية بالتحول المستمر والسريع ويظهر هذا التحول فى مستويات عدة أولها مستوى عام يرتبط بقابلية المعانى التى ترتبط بقابلية ثقافة مستويات عدة ، أولها مستوى عام يرتبط بقابلية المعانى التي ترتبط بقابلية ثقافة الاستهلاك ، للتحول ولذلك فقد وصف أحد الباحثين ثقافة الاستهلاك بأن "كل شئ فيها يصبح قابلا للتبادل مع أى شئ".

إن الثقافة الاستهلاكية تغرس فى نفوس الناس طموحات استهلاكية كبيرة ، وتخلق فى تصوراتهم أحلاما وردية ماهيفى الواقع إلا يوتوبيا أو واقع مزيف ، ذلك أن الفرد ما يلبث أن يكتشف أن هذا العالم ماهو إلاحلم جميل ، عندما لا يتمكنفى الواقع من الوصول إليه.

من طبيعة الثقافة الاستهلاكية أنها ثقافة رمزية تتأسس على الإنتاج المستمر للعلامات Signs ، والرموز Symbols . فالمستهلكون على وعي بأنهم يتحدثون من خلال مظهرهم وملبسهم والسلع والممارسات التى تحيط بهم . وينسحب ذلك على السلوك فى المنزل مثلما ينسحب على السلوك فى الأماكن العامة ، وأماكن قضاء وقت الفراغ وأماكن التسوق . فالثقافة الاستهلاكة تخلق من الرموز ما يجعلنا نفهم ذواتنا وذوات الآخرين على نحو معين ، وتمتد رمزية ثقافة الاستهلاك إلى الجانب التذوقي والجمالي فى الثقافة. وتخضع الرموز والعلامات فى ثقافة الاستهلاك إلى التغير المستمر . وتتخلل كل المعاني الثقافية القائمة .

تتصف الثقافة الاستهلاكية بأنها ثقافة قهرية تدفع الناس دفعاً إلى الاستهلاك والجرى وراء طموحاتهم ، بصرف النظر عن الفوائد الفعلية المتحققة من ذلك وهى قهرية ، لأنها تعتمد على عنصرين قهريين فى انتشارهـــــــا : الأول هو التقليد الذى يدفع الناس إلى تكريس كل حياتهم لأن يحصلوا على كل ما حصل عليه أقرانهم الآخرون

والثانى يأتى من التقاليد التى تنجح الثقافة الاستهلاكية فى استخدامها وتوظيفها ، ويظهر ذلك فى حالة الاحتفال بالمناسبات التقليدية ، دينية كانت أم غير دينية حيث يتحول الاحتفال بالمناسبة إلى حفل استهلاكي من الطراز الأول .

الطفل والاستهلاك :

الطفل فرد فى أسرة ، مستهلك للغذاء والملابس واللعب والمصروف وما تملكه الأسرة من أجهزة وأدوات ، والتنشئة الاستهلاكية هي العملية المتميزة التى يتعلم الطفل من خلالها ، المعارف والمهارات والاتجاهات التى تتناسب مع السلوك الاستهلاكي المتعلق بالحصول على المنتجات أو الخدمات واستهلاكها .

إن الأسرة لها دور مهم فى التنشئة الاستهلاكية للطفل فالأطفال يتعلمون السلوك الاستهلاكي من خلال سلسلة من المواقف ، ومعاملة الآخرين لهم ، والأماكن التى يمارس فيها هذا السلوك . هذا إلى جانب أن هناك دراسات أظهرت أن سلوك الأم الاستهلاكي والمعلومات الخاصة بهذا السلوك والتى تسعى الأم لتعليمها للطفل ، لها تأثير فى تقويم الطفل للسلعة .

وتؤكد دراسات أخرى أن وجود القدوة السليمة وبخاصـــة في فترة الطفولة يساعد على سرعة التعلم ، وغرس العادات والقيم والاتجاهات الصحيحة نحو الاستهلاك والتركيز على المفاهيم الخاصة بترشيد الاستهلاك ، كما أن توافر الفرصة المناسبة للطفل من الصغر للمشاركة في عمليات الاختبار والشراء تنمي لديه القدرة على حسن الاختيار ، مع تعويد الطفل على الاقتصاد والتوفير . وتقليل الفاقد في كل نواحي الحياة الاستهلاكية . وتتشكل الهوية الاستهلاكية للطفل أيضا ، بتأثير من أقرانه **peer Group** ، الذين قد ينشرون أو يؤكدون أهمية سلع استهلاكية معينة ، قد تكون مجرد سلع ترفيهية يترتب عليها إفراط شديد في استهلاك غاب عنه الترشيد ، لكنه تعطيه التميز وتكسبه القبول بين ثلة أقرانه .

أما مجالا الإعلام والإعلان فيشتركان أيضا في التنشئة الاستهلاكية للطفل ،بعمليات الترغيب والتحبيب المستمرة التى تلهب عقل الطفل ، والمراهق وأنظارهما ، سعيا وراء مزيد من الاستهلاك فالوسيلة الإعلامية تؤثر تأثيرا ديناميكيا على الأطفـــال . وثقافة الاستهلاك الترفيهى ترتكز على إنفاق المال على سلع كمالية وفى مناسبات غير ضرورية ، وتكرس الإ سراف ، والتبذير بقصد التباهى وحب الظهور وتعويض نقص اجتماعى معين .

فهناك – إذن – أنواع من السلع لا نقدرها لصفاتها الذاتية أو لاحتياجنا الفعلي لها ولكن وفقا لما تمثله من مكانة اجتماعية والحقيقة أن السلوكيات الاستهلاكية بدأت تتغير ، بسبب ثورة المتغيرات ، والإنتاجية الكبيرة أو لأننا ننتهج مسلكا استهلاكيا لاخفاء شئ ما فى نفوسنا ، كمستوانا المالى ، أو الثقافى مثلا ولذا كان خيارنا عشوائيا بحسب ما يمليه ذوق المصمم ، أو حسب النص الإعلاني في التلفزيون . ويعد الاستهلاك الترفيهي مرضا اقتصاديا اجتماعيا له مخاطره ، وآثاره ، ويتأثر الطفل بنمط السلوك الاستهلاكي لوالديه والمحيطين ، منذ الصغر ، وعملية التنشئة الاستهلاكية هي عملية مستمرة يتعلم الطفل من خلالها المعارف ، والمهارات والاتجاهات التي تتناسب مع حصولهعلى المنتجات (65) .

الأداء الإعلامي العربي:

تتجلى فجوة العقل الإعلامي على الصعيد الأدئي في مجالي السياسات والممارسات الإعلامية عالميا ومحليا ، وتعزى أساساإلى أسباب عدة أبرزها :

الصراع التاريخي بين الصحفيين من ناحية والقائمين على السلطة وتعنت السلطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مختلف المجتمعات ، والعصور ويرجع ذلك إلى التناقض الجوهري والجذري بين مصالح هؤلاء المتسلطين وبين جوهر مهنة الصحافة التي تستهدف تقصي ونشر كل صور وأشكال الفساد ، وسوء الإدارة والظلم الاجتماعي والقهر السياسي ، مما يصطدم غالبا بمصالح السلطة التي لاتتوانى عن اللجوء إلى العنف المباشر الذي يصل إلى حد السجن والاغتيال والنفي من الأوطان للصحفيين .

الفجوة بين التعليم والبحث العلمي الأكاديمي في حقل الإعلام ، وبين الممارسة المهنية وضوابطها السياسية والاجتماعية وضغوطها وإغراءتها الاقتصادية .

العامل الدولي والذي يكمن في تركة التبعية الإعلامية والقيم الإخبارية - والمسلسلات والمنوعات والإعلانات ، فضلا عن عدم التوازن في انسياب المعلومات من الشمال إلى الجنوب ورسوخ الاتجاه الرأسي أحادي الجانب للإعلام القادم من أعلى إلى أسفل ، من المراكز الدولية المهينة على التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية ومصادر المعرفة والتراث الإعلامي ، إلى الأطراف الأفقر في الجنوب ومن الحكومات إلى الأفراد والشعوب ، ومن الثقافة الغربية المسيطرة إلى الثقافات التابعة في الجنوب .

أما على الصعيد العربي فتتمحور أسباب فجوة العقل الإعلامي إجمالا ، حول السيطرة التي تمارسها الحكومات العربية في مجال تنظيم وتوجيه أنشطة الاتصال والإعلام ، سواء في المجالات الاقتصادية ملكية وسائل الإعلام - توفير موارد الاتصال أو في المجالات التشريعية "قوانين المطبوعات والتشريعات الإعلامية" ، فضلاً عن تحكمها في المضامين والممارسات الإعلامية (66) .

الإعلام ومسارات العولمة الإعلامية :

يمكن القول بأن عولمة الإعلام هي عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام ، على تجاوز الحدود بين الدول والتأثير في المتلقين الذين ينتمون إلى ثقافات متباينة ، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية ، وتحقيق مكاسب للأطراف المهيمنة على صناعة الإعلام والاتصال من ناحية ثانية وينطوي مفهوم عولمة الإعلام على مجموعة من الأبعاد والمكونات الأساسية التي يمكن إيجازها كالآتـــــي:

إن عولمة الإعلام هي عملية متسارعة التغير وبالتالي لم تتشكل ملامحها النهائية بعد فهي تمر بمرحلة انتقالية وذلك لسببين :

السبب الأول :

أن عولمة الإعلام أحد أبعاد عملية أوسع هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة ونظرا لعدم استقرار أو تبلور عملية العولمة فإن هناك مجموعة من الرهانات والتحديات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تحدد مسار تطور ، بل ومستقبل عملية عولمة الإعلام ومجمل هذه الرهانات يقوم على تماثل جوهر عملية العولمة في مجالات الإعلام والاقتصاد والاجتماع والثقافة ،

باعتبارها إسقاطا للحدود السياسية وتوحيدا ودمجا للأسواق ، وبالتالي وجود ارتباط وثيق وتأثيرات متبادلة بين هذه المجالات الأربعة، والإعلام بما يعني أن النجاح في عولمة الإعلام يدعم من فرص نجاح عولمة الإعلام والثقافة السياسية والعكس صحيح .

السبب الثانــي:

أن عولمة الإعلام تعتمد في بعد مهم منها على نتائج الثورة لعقود قادمة وستدفعها إلى الأمام " التطبيقات " الجديدة أي الأدوات في مجال الاتصالات والتي بدأت لتوها وسوف تستغرق تطوراتها مدة طويلة .

علاقة مجالات الإعلام ببعضها البعض :

ونتيجة لسرعة تطور تكنولوجيا الاتصال ومجتمع المعلومات أصبح من الصعب تعريف الإعلام أو الاتصال بمعزل عن تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية ، والثورة في تكنولوجيا الاتصال أوجدت وسائل جديدة في الاتصال مثل البث التلفزيوني الفضائي والتكنولوجيا الرقمية ، التي وفرت إمكانيات هائلة لاستقبال الصوت والصورة بدقة ونقاء غير مسبوقين، وكذلك وسائل الإعلام المرئية التفاعلية والفيديو والصحافة الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت ووسائل الاتصال المحمولة

علاوة على التطبيقات المختلفة للوسائط المتعددة وقد ارتبطت هذه الوسائل والتطبيقات بالمعلوماتية المتعددة في مجتمع المعلوماتية الذي لم تتبلور معالمه بعد .

وأتاحت وسائل وتطبيقات الثورة التكنولوجية المرتبطة بالإعلام والاتصالات والمعلوماتية إمكانيات واختبارات هائلة ، وأيضا تحديات أمام الأفراد والمجتمعات ، فقد تعاظمت قدرة تكنولوجيا الاتصال على تجاوز الحدود السياسية والنفاذ عبر الثقافات ، وأتاحت تكنولوجيا الاتصال التفاعلية واللاجماهيرية واللاتزامنية وقابلية التوصيل والشيوع والكونية.

النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام والاتصالات والمعلومات وقد أفضى هذا النمو إلى مزيد من التداخل بين عولمة الإعلام وعولمة الاقتصاد ، فعولمة الإعلام ليست مجرد تعظيم في قدرات الإعلامعلى الدعوة إلى عولمة الاقتصاد أو الثقافة ، أو ما يعرف أحيانا بنشر أيديولوجيا العولمة ، أي ليس مجرد أداة أيديولوجية ، بل إن عولمة الإعلام أصبحت جزا أصيلا من عولمة الاقتصاد ، وذلك بالنظر إلى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والإعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى والأسواق العالمية،

فالإعلام أصبح صناعة وقطاعا مؤثرا في الاقتصاد العالمي ، ويمثل هذا القطاع أكثر من أربعين في المائة من الإنتاج الصناعي العالمي، ويضم أكثر من ستين في المائة من اليد العاملة في العالم الصناعي .

توسيع الخيارات والبدائل الإعلامية المتاحة أمام الجمهور فقد وفرت تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية ، وبصورة غير مسبوقة مئات القنوات التلفزيونية ومئات المحطات الإذاعية وعشرات الصحف والمجلات المحلية والدولية ، فضلاً عما توفره من وسائل الاتصال الأحدث والمرتبطة بالمعلوماتية .

ويركز خطاب عولمة الإعلام على أن آليات السوق ومدى إقبال الجمهور بغض النظر عن جنسيته أوثقافته هي التي ستقود تطور وسائل الاتصال والإعلام ، كما يؤكد أن المنافسة ستكون دائمافي مصلحة الجمهور الذي سيضمن الحصول على خدمات إعلامية جيدة تلبي احتياجاته وبأسعار رخيصة .

والمتأمل في أطروحات هذا الخطاب يكتشف بسهولة أنه يتعامل مع الإعلام ومنتجات الثقافة على أساس كونها سلعا ، يجري تداولها في سوق موحدة لا توجد فيها خصوصيات سياسية أو ثقافية فالأفضلية للسلعة أو الخدمة الأجود والأرخص .

على أن هذا الخطاب يتجاهل عن عمد الطابع الأمريكي المهيمن على صناعة الإعلام والاتصالات الدولية ، والذي تزايد بصورة ملحوظة منذ نهاية الثمانينات ، نتيجة تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام الأمريكية والتحولات السياسية في النظام الدولي . تقليص دور الحكومات والمنظمات الدولية في تنظيم بيئة الإعلام والاتصالات المحلية والدولية لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات ، وذلك من خلال الدعوة إلى تغير التشريعات والنظم التي تعوق التدفق الحر للمعلومات والصور والرموز بين الدول ، أوتمنح الحكومات أدوارا ووظائف إعلامية كالتخطيط والمنع والمصادرة . في هذا السياق تطرح عولمة الإعلام مهام خصخصة وسائل الإعلام والاتصال وإنهاء دور الدولة في مجالات الإعلام خاصة في دعم وسائل الاتصال المحلية أوالإنتاج الإعلامي (67) .

* مايشير إليه الواقع الإعلامي :

تمركز المصادر الإعلامية والثقافية والمعرفية من حيث الإنتاج والتوزيع بكافة أشكاله في الدول المتحتكرة مصدر القوة الاقتصادية والعسكرية .

إن التدفق الشامل للأنباء والمعلومات يأخذ طريقه من العالم الصناعي ، الذي يضم ثلث سكان العالم إلى العالم النامي الذي يضم ثلثي سكان العالم ، وأن أكثر من ثمانين في المائة من الأنباء الموزعة يوميا في العالم تتولى إنتاجها وكالات عالمية قليلة العدد .

إن الصراع المستقبلي سيكون موجها للسيطرة على الحاسوب والتلفزيون والهاتف، التي يمكن صهرها على الإنترنت ولهذا سيكون بإمكانية المجموعة التي تسيطر على تقنية الإنترنت أن تسيطرعلى العالم مستقبلا .

يتجه السوق والمنافسة في هذا العصر عمليا وفقا لنظرية دارون (البقاء للأصلح) وهذا يعني أن الدول والأمم والشعوب التي لاتقدرعلى المنافسة سيكون مصيرها الانقراض ، وهذا يعود إلى الفجوة الكبيرة بين الدول المتقدمة والنامية في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال .

وجود تغييرات كبيرة في الخريطة الإعلامية الدولية ، متمثلة في الانفجار النوعي والكمي لآليات التحرير والتوزيع للإنتاجات المرئية والصوتية وبروز مجاميع بيانات الاتصالات العالمية وتطوير إنتاجات الترفيه والتسلية والمعلومات للذوق العالمي وليس المحلي .

نجح العالم الصناعي في تحويل صناعة الإعلام من صناعة كثيفة الإبداع إلى صناعة تقليدية كثيفة رأس المال ، حيث أخطر أنواع الاحتكار هو احتكار الإنتاج الإعلامي واحتكار مضمون الرسالة الإعلامية .

بروز ظاهرة العامل التقني المتمثل في التقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات خاصة فيما يتعلق بالأقمار الصناعية وشبكات الألياف الضوئية واندماج هذه العناصر في توليفات اتصالية أبرزها شبكة الإنترنت .

العولمة الإعلامية :جدل التلقي والتأثير

إذا اعتمدنا منهجية تحليلية نقدية لمفهوم العولمة فإننا نجد أنفسنا أمام محاذير متعددة واحتمالات مستقبلية صعبة ، خاصة بالنسبة إلى المجتمعات التي لاتملك موارد كافية للمنافسة، ولا إمكانيات ذاتيه تخولها دخول السوق العالمية وتحصيل حصتها من الاستثمار والإنتاج والترويج .

وهناك من يعتقد بأهمية العولمة في الحياة الدولية باعتبارها مناسبة متاحة أمام المجتمعات لتبرز قدرتها لتنافس وتستفيدمن الموارد المالية الموجودة في الأسواق العالمية ، ولتحقق رخاءها ونموها أي أن تحقق تقدما على الطريقة الأمريكية .
وهناك من يعتقد بأنها (تهميش للعالم النامي) وتدمير لثقافته إضافة إلى آثارها الاقتصادية والاجتماعية .

* إشكالية المستوى الحضاري والقيمي :

- تفكك التضامن الاجتماعي واستشراء التفقير والفردانية .

- تفريغ الإنسان من مضامينه الروحية والإنسانية والحضارية واختزاله إلى مجرد منتج أو مستهلك رغم وفرة الإنتاج وكثافة المغريات فرغم التخمة ثمة تفريغ للإنسان على المستوى الأخلاقي والحضاري .

- استشراء العنف المسلط على الإنسان وخاصة العنف المسلط على البيئة مثل الملاعب والبيئة وخاصة الجينات فالاستنساخ يمكن اعتباره وجها مكملا للعولمة .

* السعي الإعلامي والثقافي للتماثل والتنميط:

- العولمة الإعلامية تسعى من خلال تكنولوجيا الثورة الاتصالية إلى نشر" مبدأ التماثل " وتحميه ليصبح التماثل بذلك أمرا واقعا وتحويل المجتمع كله إلى كتلة متشابهة تنميط الحياة اليومية بحكم فراغ ما يسمى بالخيال الجماعي ، وخوائه وظهور نمط واحد من الواقع المعيشي يتصف بالتماثل السكوني ، وهكذا نجد العولمة الإعلامية تركز اليوم على حوادث العنف بين الجيران وقضايا القتل وحوادث الطرق ، وغيرها ويتم في مقابل ذلك إغفال العديد من مشاكل البشرية وتباين اهتمامتها والتحكم في مستوى الإنسان .

- تنميط المشاعر الإنسانية والتحكم في تشكلها وفق منظور معين من الأولوية والأهمية ، فالتحكم الإعلامي في المشاعر البشرية وتحديد أهميتها وبرمجة أولوياتها هو تحكم في الخيال الجماعي وبالتالي تحكم في ثقافات الشعوب .

- تعميق وظيفة التشيؤ بإحلال عالم الموضات محل العلم الإنساني محل الذوات والأشياء مع الأفراد باختزال القيمة الإنسانية إلى قيمة سلعية - تعميق ثقافة الاستهلاك وجعل الثقافة مجرد سلعة لتسطيح الحياة .

كيف يواجه الإعلام العربي عصر العولمة ؟ .

تتم المواجهة من خلال محورين :

المحور الأول :

"المواجهة الخارجية العمل الإعلامي العربي المشترك ".

إن السياسة الإعلامية الحقيقية سق لايمكن أن تنفصل عن حقيقة التطور الحضاري الإعلامي ، لأن السياسة الإعلامية وجه من وجوه السياسة الحضارية الهادفة إلى صيرورة عربية حضارية خلاقة والسياسة هي صناعة الحضارة (68) .

أهم المرتكزات التي تحتاجها السياسة الإعلامية العربية :

- تطوير مؤسسات الإعلام والاتصال داخل الوطن العربي انطلاقا من مبدأ الاعتماد على الذات .

- النظر إلى قطاع الإعلام في النظام العربي (السياسي والاقتصادي والقانوني إلخ) كجزء حيوي وقطاع منتج شأن أي قطاع آخر من القطاعات الإنتاجية في المجتمع العربي .

- تجاوز القضايا القطرية لكل دولة عربية لتركز على نظام عربي إعلامـي .

- الاعتماد على التخطيط العلمي بعيد المدى والاستفادة من كافة الجهود العاملة في مجال الإعلام والاتصال .

المحور الثاني :

المواجهة الداخلية : "عصرنة المجتمع - عصرنة الإعلام " .

من المؤكد أن الإعلام العربي كوسائل ومؤسسات حاول أن يؤسس خلال مسيرته الطويلة بعض التقاليد الإعلامية ، ويرسخ لنفسه أسسا منهجية في التعامل مع الواقع ، ويطور تقنياته الإعلامية والاتصالية ، ولكن هذا الاتجاه بقى ضمن ثوابت تقليدية ومعطيات لاتتناسب مع التطور الحضاري الإعلامي والحياة السياسية المعاصرة فهناك توسع كمي اضطراري في استخدام وسائل الإعلام أو في إنتاجها على حساب النوع والإبداع ، وهناك إخفاق في إحداث الثورة التواصلية الحضارية الإعلامية العربية وطنية وقومية ودولية وهناك مشكلات يعاني منها الإعلام العربي منها :

فقدان التخطيط والمبادرة وعدم وجود استراتيجية واضحة وعدم ثبات الأهداف السياسية الرئيسية ، وعدم ثبات الدور المناط بالإعلام العربي في مواجهة التحديات وتحديث المجتمع .

بروز ظواهر سلبية في الحياة الإعلامية العربية أثرت على آلية عمل الإعلام العربي ومضامينه ومصداقيته ، بحيث أفرزت الكثير من الأنماط الإعلامية التي لاتتناسب مع الوظيفة الحضارية للإعلام المعاصر لعل أبرزها :

بروز مبدأ سياسة إخفاء المعلومات .

تهويل الأحداث والوقائع بطريقة بدائية.

انتهاج سياسة الممنوعات الإعلامية واعتماد مبدأ المسار الواحد في المنهج الإعلامي .

تقليص حرية تدفق الأخبار والمعلومات.

ضعف مصداقية المواطن العربى بإعلامه .

بروز النسق الإعلامى التقليدى الملئ بالعموميات ، ونمطية الرسالة الإعلامية العربية شكلا ومضمونا ، وابتعادها عن حاجات ومشكلات المواطن العربى واقترابها من السلطة (69).

التحذير من طمس الشخصية الثقافية الوطنية:

يتم توظيف الإعلام عبر وسائل الإعلام المعولم لنشر ثقافة الاستهلاك ، والآثار التي يخلفها الإعلام التجاري فى ثقافة المجتمع والفرد بشكل عام . ويتلخص ذلك في أن الإعلان المعولم يهدف إلى تشكيل ثقافة معولمة ، أى أنه وسيلة اتصالية أيضا تحمل رموزها ودلالاتها الخاصة ، وعلى الرغم أن رموزها ودلالاتها غير متطابقة فى الغالب مع الواقع ، أو مبالغ فيها ، أو موظفة للأحاسيس والمشاعر ومستفزة للوعى وغير ذلك إلا أنها تصب نحو غاية واحدة وهى السيطرة على ثقافة ومنظومة قيم الآخر، ومحاولة التأثير عليها وفرض قناعات (حاجات) جديدة على الفرد .

ولذلك غالبا ما نجد الإعلان مستفزا للأحاسيس والمشاعر ، ويقترب من منظومة القيم الاجتماعية الأسرية ، وحتى يتدخلفى العلاقة بين الطفل والزوج وزوجته وهكذا يعمل الإعلام المعولم - بكسر اللام- كآلية فاعلة لتسريع عملية العولمة، ويجسد بوضوح قيما ومعانى ورموز أيديولوجية العولمة ، لكنه مضلل وزائف ، إذ إنه يمجد ثقافة الاستهلاك ، ويسوق للمتعة المجردة ،

ويثير الرغبة من التمييز الطبقي ، أى انتقال الفرد من مجموعته وبيئته وطبقته ، إلى أخرى يشعر أنها أكثر مرتبة في السلم الاجتماعي ،

وكل ذلك يقود إلى طمس الشخصية الثقافية الوطنية ، ويشجع الدعوه إلى التغريب والاغتراب والابتعاد عن القيم الوطنية مقابل إحلال قيم النموذج الأمريكى التى تمجد الفرد المتميز ،والقوة الخارقة المطلقة ، وكل ذلك يقود الفرد أيضا إلى استبدال منظومة قيمة بأخرى ، وربما إلى طمس وتغييب الموروث الثقافي بأسره .

المراجع

أحمد أبو زيد : الثورة على العولمة ، مجلة العربي العدد 55 4 وزارة الإعلام يناير 5 00 2 ص 2 3 .

السابق نفسه : ص 33 .

أنور عبد الملك : تغيير العالم ، عالم المعرفة ، العدد 95 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1995 ، ص 87 .

Joachim von Braun, Eugenio Diaz-Bonilla, Globalization of food and Agriculture and the Poor. (Oxford: Oxford University Press, 2007), PP. 78-109.

Karl Moore : David Lewis Origins of Globalization. (New York: Routledge, 2009), p.46.

(Samuel P.Huntington, The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order, New York, Simon& Schuster.

Francis Fukuyama , The End of History and the Last Man. Free Press, 1992.

Pula Kennedy, The Rise and Fall of the Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Vintage, 1987, PP.24-9.

Robertson, Roland and Frank Lechner,"Modernization, globalization and the problem of culture in world-systems theory" .Theory, Culture and Society, 2(3), 1985, 103-17.

Haggblade, Steven; et al, Transforming the Rural Nonfarm Economy: Opportunities and Threats in the Developing World. Johns Hopkins University Press, 2007.P.209.

Alvin Toffler co-wrote his books with his wife Heidi. A few of their well-known works are:

قام ألفين توفللر بكتابة كتبه وشاركته زوجته فيها ، واشتهر كثيرا بهذه الكتب الثلاثة التالية :

- Alvin Toffler, Future Shock, Bantam Books, 1970.
- Alvin Toffler, the Eco-Spasm Report, Bantam Books, 1975.
- Alvin Toffler, the Third Wave, Bantam Books, 1980.

-12 Fouhad Nohra: Theories du capitalisme mondial. Paris 1997).

المهدى المنجرة : عولمة من أجل التنوع الحضارى ، منشورات الزمن ، 2000 ، ص 33
.
سيار الجميل : العولمة ، الخلفيات الفلسفية ، عالم الفكر ، المجلد 41 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون الآداب الكويت ، يناير 2013 ، ص 138 .
رضوان جودت زيادة : العرب والعولمة ، شئوون عربية العدد 120 ، الآمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة ، شتاء 2004 ، ص 142 .
السابق نفسه : ص 147 ، 148 .
عبد الله الجسمى : المفكرون يتراجعون والسياسيون يتغلبون ، مجلة العربى ، العدد 554 ، وزارة الاعلام ، يناير 2005 ، الكويت، ص 16 ، 17 .
نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، عالم الفكر، العدد 276 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر 2001 ، ص 365 .
عواطف عبد الرحمن : الإعلام العربى وقضايا العولمة ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1999 ، ص 66 .
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1999 ، ص 37 .
السابق نفسه : ص 66 .

عواطف عبد الرحمن : الإعلام العربى وقضايا العولمة : مرجع سابق ، ص 66 .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الإعلام العربى حاضرا ومستقبلا ، تونس 1987 ، ص 14 .

المنظمة العريبة للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق ، 1999 ، ص 37 .

عواطف عبد الرحمن : الإعلام العربى وقضايا العولمة ، مرجع سابق ، ص 69 .

المنظمة العريبة للتربية والثقافة والعلوم : 1999 ، مرجع سابق ، ص 59 .

رضوان السيد : المصادر الفكرية للعقلانية فى الفكر العربى المعاصر ، المستقبل العربى ، العدد 315 ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، مايو 2005 ، ص 85 .

صلاح الدين معاوى : الإعلام العربى فى مواجهة الإعلام ، مجلة العربى ، العدد 685 ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ديسمبر 2015 ، ص 129 ، 133 .

Jurgen Osterhammel; Niels P.Petersson, globalization: A short History. (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2005), PP.36-9, 71-6,139-148.

بالإضافة للمرجع السابق : محمد حافظ دياب : تعريف العولمة ، مساءلة نقدية وكتاب قضايا فكرية ، الفكر العربي بين العولمة والحداثة ، وما بعد الحداثة ، القاهرة ، دار قضايا فكرية ، الكتاب التاسع عشر والعشرون ، أكتوبر 1999 ، ص 67 ، 95 .

Glyn.Andrew.capialism unleashed: Finance, Globalization, and welfare. (Oxford: Oxford University press, 2006), 37-49, 51-7, 79-83. .

von Braun, Joachim;Eugenio Diaz-Bonilla,Globalization of Food and agriculture and the poor.(Oxford: oxford University press, 2007), pp.21-45.

Munawar Anees, the Future of lslam: tie Up Your camel. Joumal of futures studies(May.2000).

هانس بيتر مارتين : فخ العولمة ، ترجمة عدنان عباس على ، عالم المعرفة ، العدد 295 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2003 ، ص 32 ، 33 .

عواطف عبد الرحمن : الإعلام وتحديات العصر ، عالم الفكر ، العدد 1 ، 2 ، مجلد 23 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1994 ، ص 8 .

Samir Amin, "Imperialism and Globalizatin", Monthly Review, 2001, vol.53, Issue 02(June).

Samir Amin and others, Globalization, A View from the south, Paris, 1995.

Joachim von Braun,; Eugenio Diaz-Bonilla, Globalization og Food and Agriculture and the Poor.(Oxford: Oxford University Press, 2007).pp.78-109.

Miche Senecal, Le courrier de l'UNESCO; Fevrrier 1995.

هربرت ا شيلر : المتلاعبون بالعقول ، عالم المعرفة العدد3 4 2 ترجمة عبد السلام رضوان مارس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مارس 9 9 9 1 ص 8 4 ،7 1

Armand Mattelart. Le courrier de l'UNESCO; Fevrrier 1995. .

هانس . بيتر مارتين وهارالد شومان: فخ العولمة ، عالم المعرفة ، العدد 8 33 ترجمة عدنان عباس علي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت اكتوبر 8 99 1 ص 1 2 ، 9 3 .

P.Krugman, Foreign affairs. May, 1998.
Voir Sophie Boughari"A bas l'optimisme millenariste"
Le courrier de L'UNESCO, Dec, 1998.

محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ، عالم الفكر مجلد 8 2 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ديسمبر 999 1 ص 8 7 1 .

عواطف عبد الرحمن : التعددية الإعلامية في العالم العربي ، التحديات والبدائل مجلة العربي ، العدد 5 8 5 وزارة الإعلام الكويت أغسطس 7 00 2 ص 8 2 .

عواطف عبد الرحمن : العب وفجوة العقل الإعلامي ، مجلة العربي العدد 66 5 وزارة الإعلام الكويت ، يناير 6 00 2 ص 6 2 1 .

نبيل علي : محورية الثقافة في مجتمع المعرفة ، ضمن كتاب العربي العدد،1 8 وزارة الإعلام الكويت ، يوليو 0 1 0 2 ص 0 4 ، 1 4 .

عبد بن أحمد الفيفي : مستقبل الثقافة العربية في ظل الوسائط الاتصالية كتاب العربي الجزء الثاني العدد 2 8 وزارة الإعلام الكويت ، اكتوبر 0 1 0 2 ص 2 8 1 ،3 8 1 ، 4 8 1 ، 5 8 1 .

عبد الله الجسمي : المفكرون يتراجعون والسياسيون يتغلبون ، مجلة العربي العدد 4 55 وزارة الإعلام الكويت يناير 5 00 2ص 6 .

أحمد أبو زيد : المعرفة وصناعة المستقبل ، كتاب العربي العدد 1 6 وزارة الإعلام الكويت يو ليو 5 00 2 ص 1 4 ، 1 5 ، 1 6 ، 1 7 .

السابق نفسه : ص 1 8 .

أحمد أبو زيد : الطريق إلى المعرفة ، كتاب العربي ، العدد 1 6 وزارة الإعلام الكويت اكتوبر 1 00 2 ص 1 6 7، 1 6 8 .

السابق نفسه : ص 1 6 8 ، 1 6 9 .

السيد يسين : النقد الثقافي العربي في الفضاء المعلوماتي ضمن كتاب العربي العدد 1 8 ، الجزء الأول وزارة الإعلام ،الكويت يوليو 0 1 0 2 ص 1 2 7 ، 1 2 8 ، 1 2 9 .

5 5 – أرثر آسابيرغر : وسائل الإعلام والمجتمع ، ترجمة خليل أبو إصبع ، عالم المعرفة العدد ، 6 8 3 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2 1 0 2 ص 2 8 ، 2 9 .

السابق نفسه : ص 2 9 .

السابق نفسه : ص 1 0 4 ، 1 0 5 .

السابق نفسه : ص 1 0 7 .

السابق نفسه : ص 8 11 .

السابق نفسه : 6 2 1 ، 7 2 1 .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا ، تونس ، 999 1 ص 66 .

نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، عالم المعرفة ، العدد 6 7 2 ، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب ، الكويت ، ديسمبر 1 0 0 2 ص 4 4 3 ، 5 4 3 .

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية : التقرير الاستراتيجي العربي ، القاهرة ، 000 2 ص 66 1 .

نبيل على : مرجع سابق صـ 346 ، 347

نبيل على : مرجع سابق صـ 373

سامية حسن الساعاتى : الفضائيات وثقافة الاستهلاك ، مجلة العربى ، العدد 605، ابريل 2009، وزارة الإعلام ، الكويت ، صـ 6 2 1 ، 7 2 1 ،8 2 1

عواطف عبد الرحمن : العرب وفجوة العقل الإعلامى ، مجلة العربى العدد 566 ، وزارة الإعلام ، الكويت ، يناير 2006 ،صـ 126

ياس خضير البياتى : الإعلام العربى وتحديات العولمة ، شؤون عربية ، العدد121، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ربيع 2005 ، صـ 7 4 1 ، 8 4 1، 9 1 4

حسن صعب : علم السياسة ، دار العلم للملايين ، بيروت 1979، صـ 17

ياس خضير البياتى : الإعلام العربى وتحديات العولمة مرجع سابق ، صـ 2 5 1 ، 3 5 1 ، 6 5 1 ، 7 5 1

وللتوسع فى مفاهيم متغيرات العالم ، يراجع : كارل بولانيى ، التحول الكبير : الأصول السياسية والاقتصادية لزمننا المعاصر ، ترجمة : محمد فاضل طباخ ، مراجعة : حيدر حاج إسماعيل ، ط1 (بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، 2009) .

(محمد حافظ دياب : تعريف العولمة (0 3) مساءلة نقدية وكتاب قضايا فكرية " الفكر العربى بين العولمة والحداثة وما بعد الحداثة ، القاهرة : دار قضايا فكرية "الكتاب التاسع عشر والعشرون " ط1 " أكتوبر 1999" ص 67-95) .

(يمكن مراجعة ما كتبه كل من : فهمي جدعان . الطريق إلى المستقبل: أفكار قوى للأزمنة العربية المتطورة بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1996 ،ومنير الحمش : العولمة ليست الخيار الوحيد دمشق :الاهالي 1998، وتركي الحمد ، الثقافة العربية فى عصر العولمة لندن، دار الساقي ، 1999).